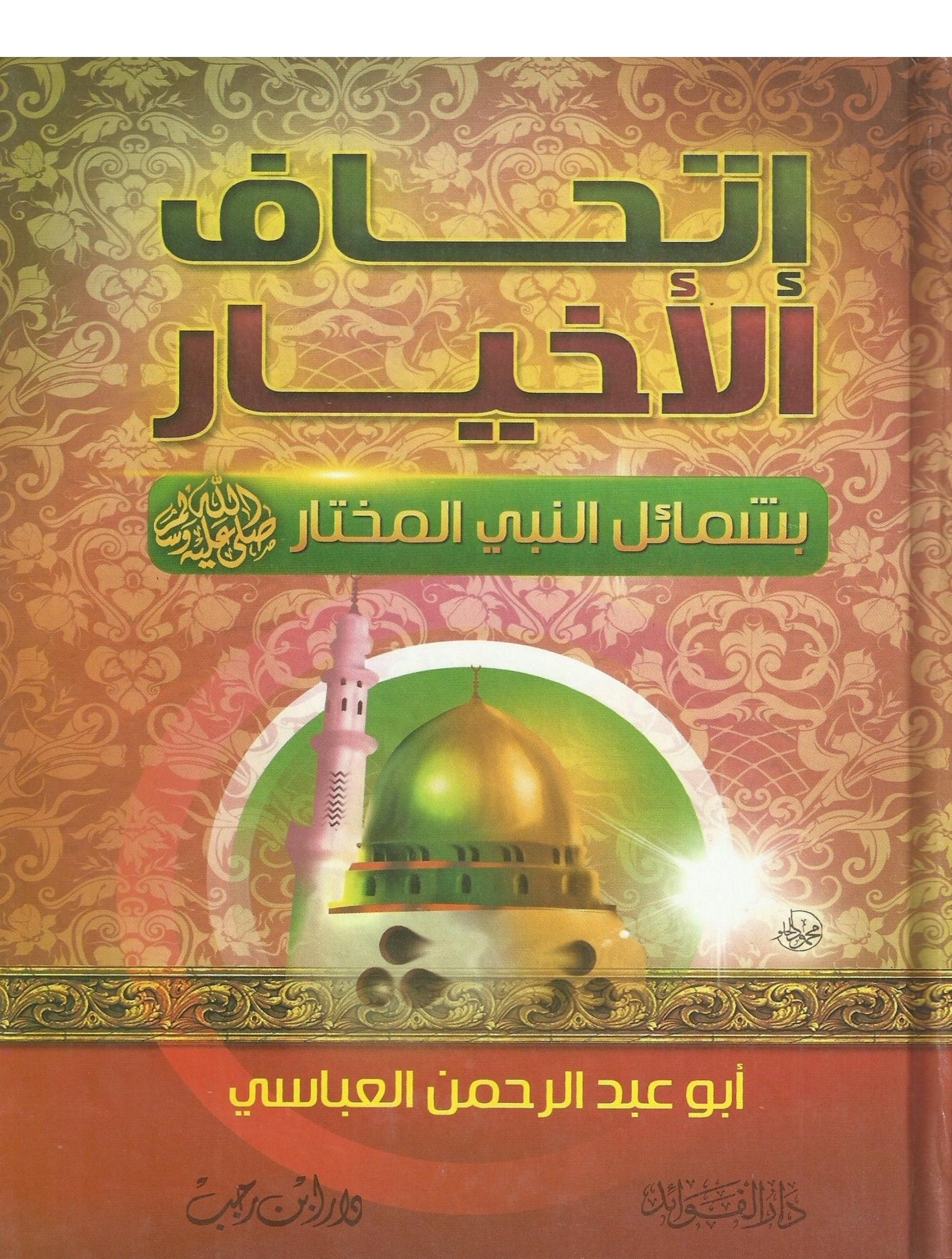

إتحاف الأخيار
بشمائل النبي المختار ﷺ
أبو عبد الرحمن العباسي
دار الفوائد
دار ابن رجب



إتحاف الأخيار

بشمائل النبى المختار

اسم الكتاب: إتحاف الأخيار بشمائل النبي المختار
اسم المؤلف: أبي عبد الرحمن العباسى
القطع: ١٧×٢٤
عدد الصفحات: ١٦٠
عدد المجلدات: ١
سنة الطبع: ٢٠١٤م

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٠١٤/٣٤٠٨
الترقيم الدولي: 978-977-390-175-5

دار ابن رجب — طبع . نشر . توزيع — دار الفوائد

جمهورية مصر العربية:
الإدارة: دمياط - فارسكور: (٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٤ — ٠٠٢٠٥٧٣٤٤١٥٥٠).
: (٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢ — ٠١٢٢٦٦٥٥٢٤٨).
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر: (٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥ — ٠١١١١١٧٧٩٥١).
فرع المنصورة: شارع جمال الدين الأفغاني: (٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨).
موقعنا الإلكتروني: www.daribnragb.com البريد الإلكتروني: sales@daribnragb.com



إتحاف الأخيار

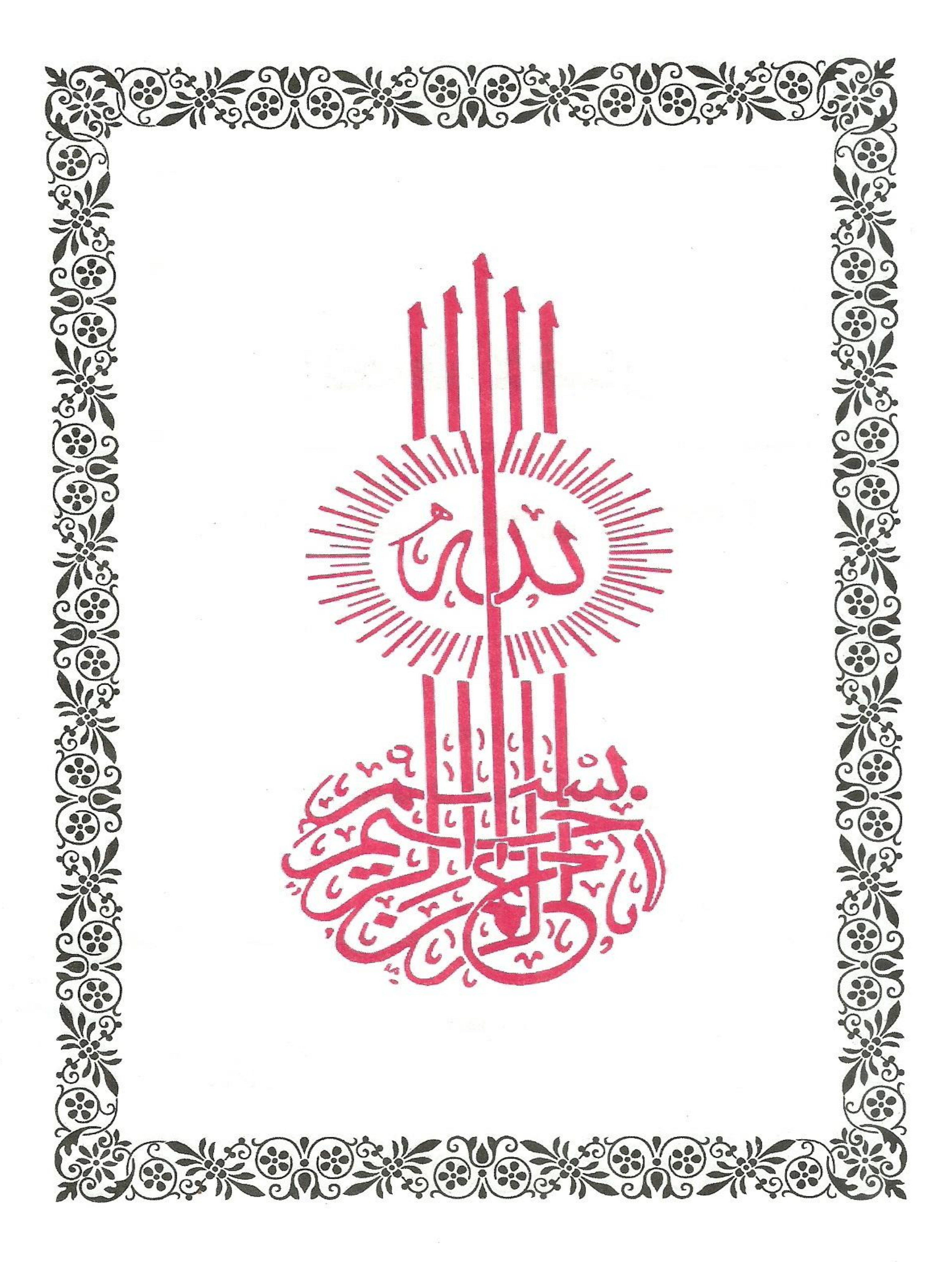
بشمائل النبى المختار

تأليف

أبي عبد الرحمن العباسى

دار ابن رجب

دار الفوائد


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحَمْد للهِ نحمدُهُ ونَستَعِينُه ونستغفره، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شرُورِ أَنفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ؛ ومَنْ يُضلِل فلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشهدُ أنْ لا إله إلّا اللهُ، وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشهَدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ وَرسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعدُ، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَىٰ، وأحسنَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشَر الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أما بعد، فإنَّ كتبَ الشمائلِ تعتني بذكر كل ما يتعلق بالنبيِّ ﷺ، ولا تتم الأُسوة به ﷺ إلا بعد معرفةِ كل شيء عنه ﷺ، ولو قرأ المرءُ شمائله ﷺ؛ لغُلب علىٰ محبته، وأكثر من ذكره، وزادت همته في العمل.

فإنَّ اللهَ اختار محمدًا ﷺ من عباده، واستخلصَهُ لنفسه من بلاده، فبعثه إلىٰ الخلق بالحق بشيرًا، ومن النّار لمن زاغَ عن سبيله نذيرًا؛ ليدعو الخلقَ من عباده إلىٰ عبادته، ومن اتباع السبيل إلىٰ لزوم طاعته، ثم لم يجعل الفزعَ عند وقوع حادثة، ولا الهرب عند وجود كل نازلة إلا إلىٰ الذي أنزل عليه التنزيل، وتفضل علىٰ عباده بولايته التأويل؛ فسنته الفاصلة بين المتنازعين، وآثاره القاطعة بين الخصمين[1].

---

(١) من مقدمة ابن حبان للثقات (٢).

ونحن في هذه الأزمنة المتأخرة التي عَجت بالمخالفات الشرعية، واتخاذ كثر من المسلمين الكفار والسُّفل السُّقط الذين يعيشون معيشة الأنعام قدوة وأُسوة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.
[الفرقان: ٤٤]

فلا يجوز للمسلم أن يتخذ أسوة وقدوة غير النبيِّ ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم جميعًا ومن صار علىٰ هديهم ودربهم، فكان ولا بد من بيان شمائله ﷺ بشكل يناسب الجميع وبأسلوب سهل يسير علىٰ كل المسلمين، حتَّىٰ تتم الأُسوة بالنبيِّ ﷺ؛ فقمت بجمع الشمائل تحت أبواب، وتحت كل باب مجموعة من الأحاديث الدالة علىٰ الترجمة، وليس هذا علىٰ سبيل الاستيعاب؛ إذ لو استوعب ذلك؛ لاتسع الكتاب جدًّا.

والمقصود من هذا الكتاب أن يسهل تناوله للجميع؛ للوقوف علىٰ شمائله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأيسر السبل، وكان شرطي في هذا الكتاب وسائر كتبي - إن شاء الله تعالىٰ - أن لا أعتمد علىٰ حديث ضعيف، وإذا ذكرتُه فإنَّما أَذكرُه؛ لبيان حاله؛ حتَّىٰ لا يَغتر به البعضُ؛ فيبني عليه حكمًا شرعيًّا، كما قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **القاعدة الجليلة**: **ولا يجوز أن يُعتمد في الشريعة علىٰ الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة، ولكن أحمد بن حنبل وغيره من العلماء جوزوا أن يروىٰ في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت إذا لم يعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا عُلم أنه مشروع بدليل شرعي، وروي في فضله حديث لا يعلمُ أنه كذبٌ؛ جازَ أن يكون الثواب حقًّا، ولم يقل أحدٌ من الأئمةِ أنَّه يجوز أن يُجعلَ الشيءُ واجبًا أو مستحبًّا بحديثٍ ضعيفٍ، ومن قال بهذا؛ فقد خالفَ الإجماع...»**[1].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأولُ من عُرف أنه قسم الحديث إلىٰ ثلاثة أقسام: صحيح،

---

(١) القاعدة الجليلة (٩١، ٩٢)، ومجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣).

وحسن، وضعيف. هو أبو عيسىٰ الترمذي في «جامعه»، والحسن عنده ما تعددت طرقه ولم يكن في رواته متهم، وليس بشاذ. فهذا وأمثاله يسميه أحمد ضعيفًا ويحتج به؛ ولهذا مثَّل أحمد الحديث الضعيف الذي يُحتج به بحديث عمرو بن شعيب وإبراهيم الهجري ونحوهما...».

قال شيخنا الحويني حفظه الله: فيظهر من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الضعيف عند الإمام أحمد هو الحسن علىٰ رسم الترمذي، وهي فائدة عزيزة لم أرها لغيره. فجزاه الله خيرًا[1].

وقال في موضع آخر (ص ١٥): وما كان أحمد بن حنبل ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون علىٰ مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن؛ فقد غلط عليه[2].

وأما كتب الشمائل، فهي كثيرة جدًّا، منها: «الشمائل» للترمذي، «والأنوار» للبغوي، و«الشفا» للقاضي عياض، و«أخلاق النبي ﷺ» لأبي الشيخ، و«تركة النبيِّ» لحماد بن إسحاق، وكتب الدلائل لأبي نعيم، والبيهقي، ولقوام السنة الأصبهاني، وكتب السير والمغازي والتواريخ؛ فإنها عَنيت بذكر شيء من ذلك، لكنها لا تخلو من حديث ضعيف أو موضوع؛ فأردت تهذيب هذه الكتب جميعًا، وخلصت بهذا الكتاب القليل الصفحات؛ حتىٰ يسهل علىٰ القارئ الاستفادة منه دون عنت ومشقة، وكذلك عنيت كتب الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها بذكر طرف من شمائله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولله در الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقول: ويَأْبىٰ اللهُ العصمةَ لكتابٍ غيرِ كتابه،

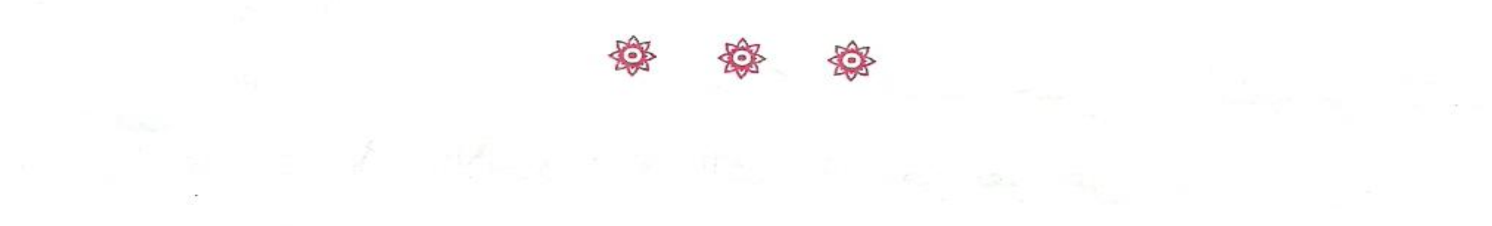
---

(١) جنة المرتاب (١/ ١٥٧).

(٢) للاستزادة راجع تبين العجب لابن حجر (٢١، ٢٢)، والقول البديع للسخاوي (٣٦٣)، والباعث الحثيث للعلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠١)، ومقدمة الجامع الصحيح للعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٤٨، ٥١).

والمُنْصِفُ من اغتفرَ قليلَ خطأِ المرءِ في كثير صَوَابِهِ [(١)].

وقد قمت في هذا الكتاب بوضع بعض التعليقات إذا احتيج إلىٰ ذلك، مع ذكر بعض الفوائد الضرورية دون الإطالة والتوسع، راجيًا من الله تعالىٰ المثوبة في الدارين، وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارءه وناشره في الدنيا والآخرة، إنه جواد كريم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) القواعد لابن رجب (١ / ٢٩).

بابُ مكانةِ النبيِّ ﷺ عند السلف

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «تفسيره»: هذه المنة التي امتن الله بها علىٰ عباده؛ أكبر النّعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، ويزكيهم من الشرك والمعاصي والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق.

قلت: فجزاءُ ذلكَ أن يُعظَّم، كما قال عروة بن مسعود الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لقد وَفَدتُ علىٰ الملوك: كِسْرىٰ، وقيصَرَ، والنجاشيِّ. فما رأيتُ أصحابَ ملكٍ يُعظمونَ مَلكهم كتعظيمِ أصحابِ محمّدٍ ﷺ محمّدًا.

ومن أعظم التعظيمِ له ﷺ تعلّمُ سُنتهِ والعمل بها، وتعليمها النَّاس، ونشرها بشتَّىٰ الوسائلِ الممكِنة.

ولقدْ بَلغتْ مكانةُ النبيِّ ﷺ عند الصّحابةِ الذُّرىٰ، حَتىٰ كانَ الواحدُ يَبذُلُ نفسَهُ ومالَهُ وأولادَهُ مِنْ أجلِهِ ﷺ، وسيتضحُ ذلكَ إنْ شاءَ اللهُ خلالَ الكتابِ.

قال أبو الشيص:

وقفَ الهوىٰ بي حيثُ أنتَ ... فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسيَ صاغرًا ... ما من يهونُ عليكَ ممن أُكرمُ
أَشبهتَ أعدائي فَصرتُ أُحبهم ... إذ صارَ حظي منك حظي منهمُ
أَجِدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً ... حبًّا لذكركَ فليلمني اللومُ

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لما قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سَبَايَا بني المصطلِقِ؛ وقعتْ

جويريةُ بنتُ الحارث في السَّهمِ لثابت بنِ قيسِ بن الشمَّاسِ أو لابن عمٍّ له، وكاتبته علىٰ نفسها، وكانت امرأةً حُلوةً مُلَاحةً، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه، فأتتْ رسولَ الله ﷺ تَستعينُهُ في كتابتها، قالت: فوالله، ما هو إلا أن رأيْتُها علىٰ باب حُجرتي، فكرهتُها، وعَرفْتُ أنه سيرىٰ منها ما رأيتُ، فدخلتْ عليه، فقالتْ: يا رسولَ الله ﷺ، أنا جويريةُ بنتُ الحارثِ بن أبي ضِرارٍ سَيِّد قومِه، وقد أصابني من البلاءِ ما لم يخفَ عليكَ، فوقعتُ في السَّهم لثابت بن قيس بن الشمَّاس أو لابن عمٍّ له، فكاتَبْتُهُ علىٰ نفسي، فجئتُكَ أستعينكَ علىٰ كتابتي. قال: «**فهل لك في خيرٍ من ذلك؟**» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي كتابتَكِ وأتزوَّجُكِ**». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «**قد فعلتُ**». قالتْ: وخرج الخبرُ إلىٰ الناس أن رسول الله ﷺ تزوَّجَ جويريةَ بنتَ الحارثِ؛ فقال الناسُ: أصهارُ رسول الله ﷺ! فأَرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أُعتق بتزويجه إيَّاها مائةُ أهل بيتٍ من بني المصطلقِ، فما أَعلمُ امرأةً كانت أعظمَ بركةً علىٰ قومها مِنْهَا[1]. حديث صحيح.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ رأىٰ خَاتمًا مِنْ ذَهبٍ في يَدِ رجلٍ؛ فنزعه فطرحه، وقال: «**يَعْمَدُ أحدكم إلىٰ جَمرةٍ من نارٍ، فيجعلُها في يده**». فقيل للرَّجلِ بعدَ مَا ذهبَ رسولُ الله ﷺ: خُذْ خَاتمكَ انتفعْ به. قال: لا والله، لَا آخُذُهُ، وقد طرحه رسولُ الله ﷺ[2].

قلت: إيثار الطَّاعة علىٰ حظّ النّفسِ.

عن أبي مسعودٍ البدري عقبة بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أضربُ غلامًا لي

---

(١) المسند (٢٥٨٣٢)، وسنن أبي داود (٣٩٣١)، وصحيح ابن حبان (٤٠٥٤)، والمستدرك علىٰ الصحيحين (٤/ ٢٢)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٩/ ٧٣)، والمنتقىٰ لابن الجارود (٦٨٧) بسند صحيح.

(٢) مسلم (٢٠٩١)، وابن حبان (١٥)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٢/ ٤٢٤)، والمعجم الكبير للطبراني (١٢٧٥).

بالسَّوْطِ فسمعتُ صوتًا مِنْ خَلفي: «**اعلم أبا مسعودٍ**». فلم أفهمِ الصوتَ من الغَضَبِ، قال: فلمَّا دَنَا مِنِّي، إذَا هُوَ رسولُ الله ﷺ. فإذا هو يقول: «**اعلمْ أَبا مسعودٍ، اعلم أبا مسعودٍ**». قال: فألقيتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي. فقال: «**اعلمْ أبا مسعودٍ، أنَّ الله أقدرُ عليكَ مِنْكَ علىٰ هذا الغُلامِ**». قال: فقلتُ: لا أضربُ مملوكًا بعده أبدًا[1].

وفي رواية: هو حُرٌّ لوجه الله تعالىٰ. قال: «**أمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ؛ لَلَفعَتْكَ النَّارُ أو لمسَّتْكَ النَّارُ**»[2].

عن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد، فحصبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمرُ بنُ الخطَّابِ، فقال: اذهبْ فأتِني بهذين. فجئْتُهُ بهما. قال: مَن أنتُما - أو من أين أنتما -؟ قالا: من أهلِ الطائفِ. قالَ: لو كنتُما من أهلِ البلدِ؛ لأوجعتُكما؛ تَرفعانِ أصواتَكما في مسجدِ رسولِ الله ﷺ![3].

عن علي بن زيد بن جُدعان قالَ: بلغَ مُصعبَ بنَ الزُّبيرِ، عن عريفِ الأنصارِ شيءٌ، فهمَّ به، فدخَلَ عليه أنس بن مالك، فقالَ له: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**استوصوا بالأنصار خيرًا - أو قال: معروفًا -، اقبلوا من مُحسنهمْ، وتجاوزوا عن مُسيئهم**». فأُلقي مصعبٌ عن سَريره، وألزقَ خَدَّهُ بالبُساطِ، وقال: أَمْرُ رسولِ الله ﷺ علىٰ الرأس والعين. فتركه[4]. حديث حسن.

قلت: لعظم المكانة لزم الأمر.

عن المسور بن مخرمة ومروان قالَا: فقام عروة بن مسعود، فقال: أي قوم، ألستم

---

(١) أحمد (١٦٧١٦)، ومسلم (١٦٦٠)، والترمذي (١٩٤٨).

(٢) مسلم (١٦٦١)، وأبو داود (٥١٥٩).

(٣) البخاري (٤٧٠).

(٤) المسند (١٣١١٦)، ومسند أبي يعلىٰ الموصلي (٣٩٩٨)، والشريعة للآجري (٨٠٤)، وشعب الإيمان للبيهقي (١٥٤٣)، والطبقات لابن سعد (٢/ ٣٧٥)، بسند حسن.

بالوالد؟ قالوا: بلىٰ. قال: أو لست بالولد؟ قالوا: بلىٰ. قال: فهل تتَّهموني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرتُ أهلَ عُكاظَ، فلمَّا بلَّحو عليَّ؛ جئتُكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلىٰ. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ، اقبلوها، ودعوني آتِه. قالوا: ائتِه. فأتاه، فجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ نحوًا من قوله لبُدَيْل. فقال عُرْوَةُ عند ذلك: أي مُحمَّدُ، أرأيتَ إن استأصلت أمر قومك، هل سمعتَ بأحدٍ من العربِ اجتاحَ أهلَهُ قبلَكَ؟ وإن تكن الأخرىٰ، فإنِّي والله لا أرىٰ وُجوهًا، وإنِّي لأرىٰ أشوابًا من النَّاس خَليقًا أن يفرُّوا ويدعوكَ. فقال له أبو بكرٍ: امْصُصْ بَظْر اللّاتِ، أَنحْنُ نَفرُّ عَنْهُ ونَدعُهُ؟ فقال: مَنْ ذا؟ قال: «**أبو بكر**». قال: أمَا والذي نفسي بيده، لولا يَدٌ كانتْ لك عندي لم أَجْزِكَ بها؛ لأَجبتُكَ. قال: وجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فكلَّما تكلَّم كلمة؛ أَخذَ بلحْيَتِهِ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ قائمٌ علىٰ رأس النبيِّ ﷺ ومعه السَّيفُ وعليه المِغْفَرُ، فكُلَّما أهوىٰ عروةُ بيدِه إلىٰ لحيةِ النبيِّ ﷺ؛ ضَربَ يَدَهُ بنعلِ السَّيفِ، وقال له: أَخِّرْ يدكَ عن لحيةِ رسولِ الله ﷺ. فرفعَ عروةُ رأسَهُ فقالَ: مَنْ هذا؟ قال: «**المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ**». فقال: أي غُدَر، ألستُ أَسعىٰ في غدرتكَ؟ وكان المغيرةُ صحبَ قومًا في الجاهلية، فقتَلهم وأخذ أموالهم ثمَّ جاءَ فأَسْلَمَ. فقالَ النبيُّ ﷺ: «**أمَّا الإسلامَ فأَقبلُ، وأمَّا المالُ فلستُ منه في شيءٍ**». ثم إن عروةَ جعل يَرمقُ أَصحابَ النبيِّ ﷺ بعينه، قال: فوالله، ما تَنخَّم رسولُ الله ﷺ نُخامةً إلّا وقَعتْ في كفِّ رَجُلٍ منهم، فدَلكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أَمْرَه؛ وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون علىٰ وَضُوئِهِ؛ وإذا تكلموا خفضوا أصواتَهُم عنده، وما يُحدُّون النَّظَر إليه؛ تعظيمًا له. فرجعَ عُروةُ إلىٰ أصحابِهِ فقال: أَي قوْمِ، والله، لقد وَفَدتُ علىٰ الملوك، وَوَفدتُ علىٰ قيصَرَ وكِسْرَىٰ والنَّجاشِيِّ، والله، إنْ رأيتُ مَليكًا قطُّ يُعظِّمُهُ أصحابُهُ ما يُعظِّمُ أصحابُ محمّدٍ ﷺ محمَّدًا، والله، إن يَتنخم نخامة إلَّا وقعت في كفِّ رَجُلٍ منهم، فَدلكَ بها

وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أَمْرَهُ، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون علىٰ وَضُوئِهِ؛ وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون النَّظر إليه؛ تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشدٍ؛ فاقبلوها(١).

قلت: تَرك النبيُّ ﷺ الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفعلون ذلك مع نهيه المسبق عن ذلك؛ ليظهر لهم مكانته عند الصحابة، فمثل هؤلاء لا يمكن أن يُهزموا ولا أن يتركوا نُصرته.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذىٰ الله ورسولَهُ**». فقام محمدُ بن مسلمةَ، فقال: يا رسول الله ﷺ، أتحبُّ أن أقتله؟ قال: «**نعم**». قال: فأذن لي أن أقول شيئًا. قال: «**قُلْ**». فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرَّجُلَ قد سألنا صدقةً، وإنه قد عنَّانَا، وإني قد أتيتك أستسلفُكَ. قال: وأيضًا والله لتملنَّه. قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحبُّ أن ندعَهُ حتىٰ ننظُرَ إلىٰ أي شيءٍ يصير شأنُهُ، وقد أردنا أن تُسلفنا وَسْقًا أو وسقينِ. قال: نعم، ارهنوني. قالوا: أيُّ شيءٍ تُريدُ؟ قال: ارهنوني نساءَكُمْ. قالوا: كيف نرهنك نساءَنا وأنتَ أجملُ العربِ؟ قال: ارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؛ فيسبُّ أحدهُمُ فيقالُ: رُهِنَ بوَسْقٍ أو وَسْقين. هذا عارٌ علينا، ولكن نرهنك اللَّأْمَةَ. قال سفيان: يعني: السّلاحُ. فواعدَهُ أن يأتيه، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلةَ وهو أخو كعبٍ من الرضاعةِ، فدعاهم إلىٰ الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأتُهُ: أَين تخرجُ هذه الساعةَ؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي أبو نائلةَ. وقال غَيرُ عمرو: قالت: أسمع صوتًا كأنه يقطرُ منه الدَّمُ. قال: إنما هو أخي محمد بنُ مسلمة، ورضيعي أبو نائلة. إن الكريمَ لو دُعِي إلىٰ طعنةٍ بليلٍ؛ لأجاب. قال: ويدخلُ محمد بنُ مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان: سمَّاهمْ

---

(١) أحمد (١٨٤٤٨)، والبخاري (٢٧١٣، ٢٧٣٤، ٤١٧٩، ٤١٨١)، وسنن أبي داود (٢٧٦٥)، وصحيح ابن حبان (٤٨٧٢).

عمرو؟ قال: سمَّىٰ بعضهم. قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمروٍ أبو عَبْس بن جبرٍ، والحارثُ بن أوسٍ وعبّاد بن بشر، فقال: إذا ما جاء، فإني قائلٌ بشعره فأَشُمُّهُ، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه؛ فدونكم فاضربوه. وقال مرةً: ثم أُشِمُّكُمْ. فنزل متوشحًا وهو يَنفحُ منه ريح الطِّيب، فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحًا. - أي: أطيبَ -، وقال غَيرُ عمرو: عندي أعطرُ نساء العرب وأكملُ العرب. قال عمرو: أتأذن لي أن أشمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشمه، ثم أشمَّ أصحابه، ثم قال: أتأْذنُ لي؟ قال: نعم. فلمَّا استمكَن منه؛ قال: دونكم فاقتلوه. ثم أتوا النبيَّ ﷺ فأَخبروهُ[1].

قلت: كان مقدمًا عندهم رضي الله عنهم علىٰ الأهل والأحباب والأصحاب، فأين هو منا الآن؟!

وفي «صحيح البخاري» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ بعثَ إلىٰ أبي رافعٍ اليهوديِّ رجالًا من الأنصار، فأمَّرَ عليهم عبد الله بن عَتيك، وكان أبو رافعٍ يؤذي رسولَ الله ﷺ ويُعينُ عليه؛ فقتلوه. والحديث أوردته بطوله في باب الآيات.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ أُفردَ يوم أُحدٍ في سبعة من الأنصار ورجلين مِنْ قُريشٍ، فلمَّا رهقوه؛ قال: «**من يَرُدُّهُمْ عنَّا وله الجنَّةُ** - أو: - هو **رفيقي في الجنَّةِ**؟»، فتقدم رجلٌ من الأنصار، فقاتلَ حتىٰ قُتلَ، فلم يَزَلْ كذلك حتىٰ قُتلَ السَّبعةُ، فقال رسولُ الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنصفْنَا أصْحَابَنَا**»[2].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «الزاد» (٣/ ١٨٣): «وهذا يُروىٰ علىٰ وجهين: بسكونِ الفاءِ ونصبِ أصحابنا علىٰ المفعولية، وفتح الفاء ورفع أصحابنا علىٰ الفاعلية.

---

(١) البخاري (٣٧٥٦)، ومسلم (١٣٦٥)، وأبو داود (٢٧٦٨)، والكبرىٰ للنسائي (٨٥٧٨)، والكبرىٰ للبيهقي (٩/ ٧٩).

(٢) أحمد (١٣٦٤٢)، ومسلم (١٧٩٢)، والنسائي (٨٥٩٣)، وصحيح ابن حبان (٤٧١٨)، والكبرىٰ للنسائي (٨٥٩٣).

ووجه النصب: أن الأنصار لما خرجوا للقتال واحدًا بعد واحد حتىٰ قُتِلُوا، ولم يخرج القُرشيان؛ قال ذلك، أي: ما أنصفتْ قُريشٌ الأنصار.

ووجه الرفع: أن يكون المرادُ بالأصحابِ: الذين فَرُّوا عن رسولِ الله ﷺ حتىٰ أُفرِدَ في النّفرِ القليلِ؛ فَقُتُلوا واحدًا بعد واحد؛ فلم ينصفوا رسولَ الله ﷺ ومن ثبت معه.

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا أنا واقفٌ في الصف يَوْمَ بَدْرٍ فنظرتُ عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانُهُمَا، تَمنَّيتُ أن أكونَ بين أضلع منهما، فَغَمزني أحدُهُما، فقال: يا عمِّ، هل تَعرفُ أبا جهلٍ؟ قلتُ: نعم، ما حاجتُكَ إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرتُ أنه يَسُبُّ رسولَ الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيتُهُ؛ لا يُفارقُ سواده سوادي حتَّىٰ يموتَ الأَعجلُ منَّا. فتعجَّبتُ لذلك، فغمَزني الآخرُ، فقال لي مثلها، فلم أنشبْ أن نظرتُ إلىٰ أبي جهلٍ يَجُولُ في النَّاسِ، قلتُ: ألا إن هذا صاحبُكُمَا الذي سألتُمَاني. فابتدَراهُ بسيفيهما فضرباه حتىٰ قتلاه، ثم انصرفَا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أَيُّكُما قَتَلَهُ**»، قال كُلُّ واحدٍ منهُمَا: أنا قَتلتُه. فقال: «**هل مَسَحْتُمَا سيفيكما؟**». قالا: لا. فنظَر في السَّيفَينِ، فقال: «**كلاكما قَتَله**»[1].

وقضىٰ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرّجُلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء.

قلت: كان هذا حال غلمان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مع النبيِّ ﷺ، فأين هو ﷺ من غلماننا وشبابنا اليوم؟!

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا تَمْنَعُوا نساءكُمُ المساجدَ، إذا استأْذنكُمْ إليها**». قال: فقالَ بلالُ بنُ عبد الله: والله لَنَمْنَعُهُنَّ.

---

(١) أحمد (١٦٧٦)، والبخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٥)، والبيهقي في الكبرىٰ (٦/ ٣٠٥).

قال: فأَقْبَلَ عليه عبدُ الله، فسَبَّه سَبًّا سيئًا، ما سمعتُهُ سَبَّه مثله قَطُّ، وقال: أُخبرك عنْ رسولِ الله ﷺ وتقولُ: والله لنَمْنَعُهُنَّ[(١)].

وفي المسند: فَلَطَم صَدْرَهُ، وقال: أُحدِّثُكَ عن رسول الله ﷺ، وتَقُولُ هذا؟![(٢)].

قلت: هكذا ينبغي للآباء أن يربوا أولادهم علىٰ توقيره وتعظيمه وعدم التقدم بين يديه ﷺ.

عن سعيد بن مَرجانةَ أنَّه سَمعَ أبَا هريرَة يقولُ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من أعتق رقبةً أعتق اللهُ بكُلِّ إرْبٍ منه إرْبًا من النَّارِ، حتىٰ إنَّه ليَعتقُ باليدِ اليدَ، والرِّجْلِ الرِّجْلَ، وبالْفَرجِ الْفَرج**» فقال عليُّ بنُ الحُسين: أأنتَ سمعتَ هذا من أبي هريرةَ؟ فقال سعيدٌ: نعم. فقال عليٌّ: ادْعُ لي مُطَرِّفًا، فلمَّا قامَ بين يديهِ، قال: اذهب فأنتَ حرٌّ لوجه الله[(٣)].

عن أبي قتادة، قال: كُنَّا عند عِمرانَ بنِ حُصينٍ في رهطٍ مِنَّا. وفينا بُشير بن كعبٍ. فحدَّثَنَا عِمرانُ يومئذٍ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**الحياءُ خيرٌ كُلُّهُ**». قال: أو قال: «**الحياءُ كُلُّهُ خير**». فقال بُشَيْرُ بنُ كعبٍ: إنَّا لنجدُ في بعضِ الكُتبِ أو الحكمةِ أنَّ منه سكينةً ووقارًا لله، ومنه ضعفٌ. قال: فغضبَ عِمرانُ حتّىٰ احمرت عيناهُ. وقال: أَلَا أرني أُحدِّثُكَ عن رسولِ الله ﷺ وتُعارضُ فيه؟ قال: فأعادَ عِمرانُ الحديثَ. قال: فأعادَ بُشيرٌ، فغَضبَ عِمرانُ. قال: فَمَا زِلْنَا فيه: إنَّه منَّا يا أبَا نُجَيْدٍ! إنَّه لا بأسَ بهِ[(٤)].

عن عبد الله بن المغفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه رأىٰ رجلًا يَخذِفُ، فقالَ لَه: لا تَخذفْ؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ نهىٰ عن الخَذْفِ، أو كان يَكْرَهُ الخَذْفَ، وقال: «**إنه لا يُصادُ به صيدٌ،**

---

(١) البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (٤٤٢)، وأبو داود (٥٦٨)، والترمذي (٥٧٠).

(٢) المسند (٥٠٠١)، بسند صحيح.

(٣) أحمد (٩١٥٤)، والبخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، والبيهقي في الكبرىٰ (٦/ ٢٧٢)، والمنتقىٰ لابن الجارود (٩٤٣).

(٤) البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٦).

ولا يُنكىٰ به عَدوٌّ، ولكنها قَدْ تَكْسرُ السِّن وتَفقأُ العينَ». ثم رَآهُ بعد ذلك يَخذفُ، فقال له: أُحَدِّثك عن رسول الله ﷺ أنه نَهَىٰ عَنِ الخَذْفِ أو كَرِهَ الخَذْفَ، وأنتَ تَخذِفُ؛ لا أُكَلِّمُكَ كَذَا وكَذَا[(١)].

عن أنس بن مالكٍ، أنَّه قال: لمَّا نَزَلتْ هذه الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]؛ جلسَ ثابتُ بنُ قيسٍ في بيته، وقال: أَنا مِنْ أهلِ النَّار. واحتبسَ عن النبيِّ ﷺ، فسألَ النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ معاذٍ، فقال: «**يا أبا عمروٍ، ما شأْنُ ثابتٍ، اشتكىٰ؟**» قالَ سعدٌ: إنَّه لجاري، وما علمتُ له بشكوىٰ. قال: فأتاه سعدٌ، فذكرَ له قولَ رسولِ الله ﷺ، فقال ثابتٌ: أُنزلتْ هذه الآيةُ، ولقد علمتُمْ أنِّي أَرفعكم صوتًا علىٰ رسول الله ﷺ؛ فأنا من أهل النَّار. فذكر ذلك سعدٌ للنبيِّ ﷺ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهلِ الجنَّة**»[(٢)]. البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا قُعودًا حولَ رسولِ الله ﷺ، مَعَنَا أبو بكرٍ وعُمَرُ في نفرٍ. فقامَ رسولُ الله ﷺ من بين أظهُرنا، فأَبْطَأَ علينا، وخشينا أن يُقتطَع دونَنا، وفزعنا؛ فقُمْنَا، فكنتُ أوَّل مَنْ فَزِعَ، فخرجتُ أَبتغي رسولَ الله ﷺ، حتىٰ أتيتُ حائطًا للأنصارِ لبني النَّجار، فَدُرْتُ به، هلْ أَجدُ له بابًا؟ فلم أَجِدْ، فإذا ربيعٌ، يَدخُلُ في جوفِ حائطٍ من بئرٍ خارجةٍ، (والربيع: الجدولُ) فاحتفزتُ كما يَحتفزُ الثعلبُ، فدخلتُ علىٰ رسول الله ﷺ، فقالَ: «**أبو هريرةَ؟!**» فقلتُ: نعمْ، يا رسولَ الله. قال: «**ما شأْنُكَ؟**» قلت: كنتَ بين أظهُرِنا فقمتَ فأبطأْتَ علينا فخشينا أن تقتطع دُونَنَا، ففزعنا فكنتُ أوَّلَ من فزعَ، فأتيتُ هذا الحائطَ، فاحتفزتُ كما يحتفزُ الثعلبُ، وهؤلاءِ النَّاسُ وَرائي.

---

(١) البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٧).

(٢) البخاري (٣٣٦٧)، ومسلم (١٢١).

فقال: «**يَا أبا هريرة** - وأعطاني نعليه -، قال: **اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيتَ مِنْ وراءِ هذا الحائط يشهدُ أنْ لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُهُ، فبشِّره بالجنَّةِ**». فكانَ أوَّلَ من لقيتُ عُمَرُ، فقال: ما هاتانِ النَّعلانِ يا أبا هريرةَ؟ فقلتُ: هاتانِ نعلَا رسول الله ﷺ، بعثني بهما: من لقيتُ يَشهدُ أنْ لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشَّرتُهُ بالجنَّةِ. فضربَ عُمَرُ بيده بين ثَدْيَيَّ فخررتُ لِاستي، فقال: ارجع يا أبا هريرةَ. فرجعتُ إلىٰ رسول الله ﷺ فأَجهشتُ بُكاءً، وركبني عُمَرُ، فإذا هو علىٰ أثري، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لَكَ! يا أبا هريرةَ؟**» فقلتُ: لقيتُ عُمَرَ فأخبرتُهُ بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربةً خررْتُ لاستي. قال: ارجعْ. فقال له رسولُ الله: «**يا عُمَرُ، ما حملك علىٰ ما فعلتَ؟**» فقال: يا رسول الله ﷺ، بأبي أنتَ وأُمِّي، أبعثت أبا هريرةَ بنعليك: من لقي يَشهدُ أن لا إله إلّا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنَّةِ؟ قال: «**نعم**». قال: فلا تفعلْ، فإنِّي أَخشىٰ أن يتَّكلَ النَّاسُ عليها فخلِّهمْ يعملون. قال رسول الله ﷺ: «**فخَلِّهمْ**»[1].

عن أبي أيوب الأنصاري - خالد بن زيد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ نزلَ عليه، فنزل النبيُّ ﷺ في السفل، وأبُو أيُّوب في العلو، قال: فانتبَهَ أبو أيُّوب ليلةً، فقال: نمشي فوقَ رأسِ رسولِ الله ﷺ! فتنحوا فباتوا في جانبٍ، ثم قال للنبيِّ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «**السُّفْلُ أرفقُ**» فقال: لا أعلو سقيفةً أنت تحتَها. فتَحوَّل النبيُّ ﷺ في العُلُوِّ، وأبو أيوب في السفلِ، فكان يَصنعُ للنبيِّ ﷺ طعامًا، فإذا جيءَ به إليه سأَلَ عن موضع أصابعه، فيتبع موضعَ أصابِعهِ، فَصَنعَ له طعامًا فيه ثومٌ، فلما رُدَّ إليه سَأَلَ عَنْ موضع أصابع النبيِّ ﷺ، فقيل له: لم يأكل. ففزِعَ، وصَعِد إليه، فقال: أَحرامٌ هو؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لا، ولكني أكرَهُهُ**»، قال: فإني أكره ما تكره - أو ما كرهت -. قال: وكان النبيُّ ﷺ يؤتىٰ[2]، أي:

---

(١) مسلم (٣٤)، وصحيح ابن حبان (٤٥٤٣)، ومعجم ابن الأعرابي (٣٩٨).

(٢) مسلم (٢٠٥٥)، والمعجم الكبير للطبراني (٣٩٨٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥١٠).

جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل عليه بالوحي.

وفي رواية: فأُهْرِيقَ ماءٌ في الغُرفةِ، فقمتُ أنا وأمُّ أيوب بقطيفةٍ لنا نَتْبعُ الماءَ شفقةَ يَخلُصَ الماءُ إلىٰ رسول الله ﷺ[1].

- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج النبيُّ ﷺ في ساعةٍ لا يَخرجُ فيها ولا يلقاه فيها أحدٌ، فأتاه أبو بكرٍ، فقال: «**ما جاء بك يا أبا بكر؟**» فقال: خرجتُ ألقىٰ رسول الله ﷺ وأَنظُرُ في وجهه، والتسليمَ عليه. فلم يلبث أن جاء عُمَرُ، فقال: «**ما جاء بك يا عمر؟**» قال: الجوع يا رسول الله ﷺ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**وأنا قد وجدتُ بعضَ ذلك**». فانطلقوا إلىٰ منزل أبي الهيثمِ بن التيهان الأنصاريِّ، وكان رجلًا كثير النَّخْلِ والشَّاءِ، ولم يكن له خَدَمٌ؛ فلم يجدوه.

فقالوا لامرأتِه: «**أين صاحبُكِ؟**» قالت: انطلق يستعذبُ لنا الماءَ، فلم يَلبثُوا أن جاء أبو الهيثم بقربةٍ يَزْعبها، فوضَعَها ثم جاء يلتزمُ النبيَّ ﷺ، ويُفَدِّيهِ بأبِيه وأمِّهِ، ثم انطلق بهم إلىٰ حديقته فبَسَط لهم بِسَاطًا، ثم انطلق إلىٰ نخلةٍ، فجاء بقنوٍ فوضعه.

فقال النبيُّ ﷺ: «**أفلَا تنقَّيتَ لنا من رُطبِهِ**»، فقال: يا رسول الله، إني أَردتُ أن تختارُوا، أو قال: تَخيَّروا من رُطبِهِ وبُسْرِهِ، فأكلوا، وشربوا من ذلك الماء.

فقال رسول الله ﷺ: «**هذا، والذي نفسي بيده، من النعيم الذي تُسألونَ عنه يوم القيامةِ، ظلٌّ باردٌ، ورَطبٌ طيبٌ، وماءٌ باردٌ**». فانطلق أبو الهيثم ليصنَع لهم طعامًا.

فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تَذبحنَّ ذاتَ دَرٍّ**»، قال: فذبح لهم عَنَاقًا أو جَدْيًا، فأتاهم بها، فأكلوا.

فقال النبيُّ ﷺ: «**هل لك خادمٌ؟**». قال: لا، قال: «**فإذا أتانَا سَبي، فأتنا**»، فأُتِيَ النبيُّ ﷺ برأسينِ ليس معهُمَا ثالثٌ، فأتاه أبو الهيثم، فقال النبيُّ ﷺ: «**اخْتَر مِنْهُما**». فقال: يا نَبيَّ الله، اختَرْ لي.

---

(١) المسند (٢٣٠٥٧)، بسند صحيح.

فقال النبيُّ ﷺ: «إن المستشَارَ مؤتمن، خُذْ هذا؛ فإني رأيتُه يُصلِّي، واستوص به معروفًا»، فانطلق أبو الهيثم إلىٰ امرأتِه، فأَخبرَها بقول رسولِ الله ﷺ، فقالت امرأتُهُ: ما أنتَ ببالغٍ مَا قَال فيه النبيُّ ﷺ إلَّا أن تعتقَهُ، قال: فهو عتيقٌ.

فقال النبيُّ ﷺ: «إن الله لم يبعثْ نبيًّا ولا خليفةً إلا وله بطانتان: بطانةٌ تأمُرُه بالمعروفِ وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألُوهُ خبالًا. ومن يُوقَ بطانةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ»[(١)].

عن أبي بَرْزَةَ الأسلميِّ - نَضلةَ بن عمرو الأسلمي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن جُليبيًا كان امْرَأً من الأنصار، وكان يَدْخلُ علىٰ النِّساءِ، ويتحدَّثُ إليهنَّ، قال أبو برزةَ: فقلتُ لامرأتي: لا يدخُلنَّ عليكم جُليبيبٌ. قال: فكان أصحاب النبيِّ ﷺ إذا كان لأحدهم أيِّمٌ لم يزوِّجها، حتَّىٰ يعلم هل لرسُول الله ﷺ فيها حاجةٌ أمْ لَا. فقالَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ لرَجُلٍ من الأنصار: «يا فلانُ، زوجني ابنتكَ». قال: نَعَمْ، ونُعْمَىٰ عَيْنٍ. قال: «إنِّي لسْتُ أُريدُهَا لنفسي». قال: فَلِمَنْ؟ قال: «لجُليبيب». قال: يا رسول الله، حتىٰ أستأمِرَ أُمَّهَا. فأتَاهَا، فقال: إن رسول الله يَخْطُبُ ابنتَكِ. فقالت: نعم، ونُعْمَىٰ عَيْنٍ. قال: إنه ليستْ لنفسِهِ يُريدُهَا. قالت: فَلِمَنْ يُريدُها؟ قال: لجليبيب. قالتْ: حَلْقي أَلجليبيب! قالتْ: لا لَعَمْرُ اللهِ، لا أُزوِّجُ جُليبيًا. فلمَّا قامَ أبُوهَا ليأتي النبيَّ ﷺ، قالتِ الفتاة من خدرها لأمِّها: من خطبنِي إليكُمَا؟ قالَا: رسولُ الله ﷺ. قالتْ: أتردُّونَ علىٰ رسول الله أَمْرَهُ! ادفعوني إلىٰ رسول الله ﷺ؛ فإنه لن يُضَيِّعني. فذهبَ أبوها إلىٰ النبيِّ ﷺ: شأنُكَ بها. فَزَوّجَهَا جُليبيًا[(٢)]. هذا لفظ ابن حبان.

قال إسحاقُ بن عبد الله بن أبي طلحة لثابتٍ: هل تدري ما دَعَا لَها رسولُ الله ﷺ

---

(١) الترمذي (٢٣٦٩) بسند صحيح، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٣٤١)، ورواه مختصرًا أحمد في المسند (٧١٩٨)، والسنن الكبرىٰ للنسائي (٧٧٧٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٧)، والكبرىٰ للبيهقي (١٠/ ١٠٩).

(٢) ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٥) بسند صحيح.

به؟ قال: وما دَعَا لَها به؟ قال: «**اللهُمَّ صُبَّ عليها الخيرَ صبًّا صبًّا، ولا تجعلْ عيشَهَا كدًّا كدًّا**». قال ثابتٌ: فَزَوجَها إيَّاهُ. قال: فبينما رسولُ الله ﷺ في غزاةٍ له، فأَفَاءَ اللهُ عليه، فقال: «**هل تفقدون من أحدٍ؟**». قالوا: نفقدُ فلانًا وفُلانًا، ونفقدُ فلانًا. من ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**». قالوا: لا. قال: «**لكني أَفْقدُ جُليبيًا؛ فاطلبوه في القتلىٰ**». فنظروا في القتلىٰ فوجدوه إلىٰ جنب سبعةٍ قد قتلهم، ثم قتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «**قَتَلَ سبعةً ثم قتلوه، هذا منِّي وأنا منه**». يَقُولُهَا مِرارًا، فوضَعَهُ رسولُ الله ﷺ علىٰ ساعِدِهِ، ما له سَريرٌ إلّا ساعدي رسول الله ﷺ، حتىٰ وضعه في قبره، قال ثابتٌ: فما كان من الأنصار أَيِّمٌ أنفقَ منها»[(١)].

قلت: أين فتيات المسلمين من هذه الفتاة الأنصارية، في امتثالها وحرصها علىٰ طاعة نبيها ﷺ؟

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما كانَ يومُ أُحُدٍ؛ انهزمَ النَّاسُ عن النبيِّ ﷺ، وأبو طلحةَ بين يدي النبيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ به عليه بحجفةٍ له، وكان أبو طلحةَ رجلًا راميًا شديدَ القوى يكسِرُ يومئذٍ قوسين أو ثلاثًا، وكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ معه الجُعْبَةُ من النَّبْلِ، فيقولُ: انشُرْهَا لأبي طلحةَ. فأشرفَ النبيُّ ﷺ ينظرُ إلىٰ القوم، فيقول أبو طلحةَ: يا نبيَّ الله، بأبي أنتَ وأمِّي، لا تُشرفْ؛ يُصيبُك سهمٌ من سهامِ القومِ، نَحْرِي دُونَ نَحرِكَ[(٢)].

عن إبراهيم التيميّ عَنْ أبيه، قال: كُنّا عِنْدَ حذيفةَ، فقالَ رجلٌ: لوْ أدركتُ رسولَ الله ﷺ؛ قاتلتُ معَهُ وأَبليتُ. فقالَ حذيفةُ: أنتَ كنتَ تفعلُ ذلك! لقَدْ رأيتُنا مع رسولِ الله ﷺ ليلةَ الأَحْزَابِ، وأخذَتْنا ريحٌ شديدةٌ وقُرٌّ؛ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا رَجُلٌ يأتينا بخبرِ القومِ؛ جعله اللهُ معي يومَ القيامةِ**». فسكتنا فلم يُجبْه أحد، ثمّ قالَ:

---

(١) المسند (١٩٢٨٤، ١٩٢٨٥)، وشعب الإيمان للبيهقي (١٥٤١) بسند صحيح.

(٢) البخاري (٣٨١١)، ومسلم (٣٣٨٢).

«ألا رجلٌ يأتينا بخبر القومِ؛ جعله اللهُ معي يومَ القيامةِ». فسكتنا فلم يُجبْهُ أحد، فقال: «قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم». فلم أجد بُدًّا؛ إذ دعاني بِاسْمِي أنْ أقومَ. قال: «اذْهَبْ فأتِني بخبرِ القومِ ولا تَذْعرْهُمْ عليَّ». فلمَّا ولَّيْتُ من عِنْدِهِ؛ جعلتُ كأنَّمَا أَمْشي في حمَّامٍ حَتَّىٰ أَتَيْتُهُمْ، فرأيتُ أبا سفيانَ يَصْلِي ظَهْرَه بالنَّارِ؛ فوضعتُ سَهمًا في كَبِدِ القَوْسِ فأَرَدْتُ أن أَرْمِيَهُ، فذكرتُ قولَ رسولِ الله ﷺ: «ولا تَذْعرْهُمْ». ولَوْ رمَيتُهُ؛ لأَصبتُهُ، فرجعتُ وأنا أَمْشِي في مثلِ الحمَّامِ، فلمَّا أَتيتُهُ، فأخبرتُهُ بخبر القوم وفرَغْتُ؛ قُرِرْتُ، فألبَسَنِي رسولُ الله ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كانتْ عليه يُصلِّي فيهَا، فلَمْ أزَلْ نائِمًا حتَّىٰ أَصبحتُ، فلمَّا أصبحْتُ؛ قالَ: «قُمْ يا نوْمَانُ»[(١)].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ أعمىٰ كانت له أُمُّ ولدٍ تَشتُمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلةٍ، جعلت تقع في النبيِّ ﷺ وتَشتُمُهُ؛ فأخذ المِغولَ، فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طِفل؛ فلطخت ما هناك بالدَّم، فلما أصبحَ؛ ذُكرَ ذلك لرسول الله ﷺ؛ فجمع الناس، فقال: «أَنشُد اللهَ رَجُلًا فعل ما فعلَ، لِي عليه حقٌّ إلّا قام». فقام الأعمىٰ يتخطىٰ الناس وهو يتزلزلُ حتىٰ قعد بين يدي النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبُها، كانت تشتُمكَ وتقع فيك؛ فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثلُ اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقةً، فلمَّا كانت البارحةُ، جعلت تشتُمكَ وتقع فيك؛ فأخذتُ المِغولَ فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتىٰ قتلتها. فقال النبيُّ ﷺ: «ألا اشهدوا أنَّ دمَهَا هَدرٌ»[(٢)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان للنبيِّ ﷺ ناقةٌ تُسمّىٰ العَضْبَاءَ، لا تُسبق، فجاء

---

(١) مسلم (١٧١٩)، وابن حبان في صحيحه (٧١٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ١٤٧).

(٢) أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي في الصغرىٰ (٤٠٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٩) بسند صحيح.

أعرابي علىٰ قعودٍ فسبقها؛ فشَقَّ ذلك علىٰ المسلمين حتَّىٰ عرفه؛ فقال: «**حقٌّ علىٰ الله أن لا يرتَفع شيءٌ من الدُّنيا إلَّا وضَعَهُ**»[(١)].

قلت: لعظم مكانته عندهم هَمّهم أن يتكدّرَ خاطره ﷺ؛ فاغتموا لذلك».

وسئل مالك عن أيوب السختياني؛ فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه. قال: وحج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ؛ بكىٰ حتىٰ أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ؛ كتبت عنه.

وقال مالك: كنا ندخل علىٰ أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ؛ بكىٰ حتىٰ نرحمه[(٢)].

وقال قتادة: يستحب أن لا تقرأ الأحاديث عن رسول الله ﷺ إلا علىٰ طهارة[(٣)].

وقال أبو حاتم البستي: كان محمد بن المنكدر من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ، وكان يصفر لحيته ورأسه بالحناء[(٤)].

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به، ولو مرة[(٥)].

الحارث بن مسكين قال: أخبرنا ابن القاسم، قال: قيل لمالك: لم لم تأخذ عن عمرو بن دينار؟ قال: أتيته، فوجدته يأخذون عنه قيامًا؛ فأجللت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائمًا[(٦)].

---

(١) البخاري (٦٥٠١)، وأبو داود (٤٨٠٢)، والنسائي في الصغرىٰ (٣٥٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٢).

(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٧).

عن مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ؛ يتغير لونه وينحني، حتىٰ يصعب ذلك علىٰ جلسائه، فقيل له يومًا في ذلك؛ فقال: لو رأيتم ما رأيت؛ لما أنكرتم عليّ ما ترون، ولقد كنت أرىٰ محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا يبكي حتىٰ نرحمه، ولقد كنت أرىٰ جعفر بن محمد، وكان كثير الدُعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ؛ اصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا علىٰ طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانًا، فما كنت أراه إلا علىٰ ثلاث خصال: إما مصليًا، وإما صامتًا، وإما يقرأ القرآن. ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العباد الذين يخشون الله عَزَّوَجَلَّ [(١)].

وكان محمد بن سيرين يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ؛ خشع، وكان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو علىٰ وضوء؛ إجلالًا له.

قال مطرف: كان إذا أتىٰ الناس مالكًا؛ خرجت إليهم الجارية، فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا: المسائل. خرج إليهم، وإن قالوا الحديث. دخل مغتسله، وتطيب، ولبس ثيابًا جددًا، ولبس ساجه، وتعمم، ووضع علىٰ رأسه رداءه، وتلقىٰ له مصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتىٰ يفرغ من حديث رسول الله ﷺ. قال ابن أبي أويس: فقيل لمالك في ذلك؛ فقال: أحب أن أنظم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدث به إلا علىٰ طهارة. قال: وكان يكره أن يحدث في الطريق، أو هو قائم أو مستعجل. وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ [(٢)].

عن محمد بن سيرين قال: قلتُ لعبيدة: عندنا من شَعَر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليَّ من الدنيا وما

---

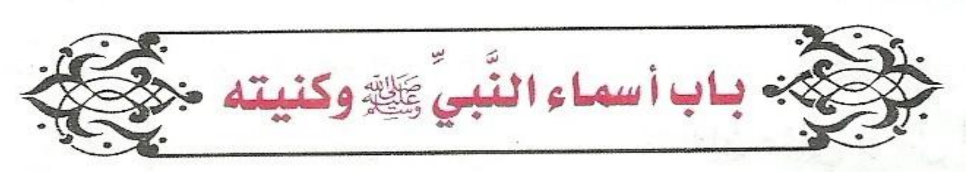
(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، للقاضي عياض (٢/ ٤٢).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٤٤، ٤٥).

فيها[١].

قلت: ويَدخلُ ويندرج في هذا الباب باب السمع والطاعة لرسول الله ﷺ؛ فإن فيه إظهارًا لمكانة النبيِّ ﷺ؛ حيث امتثال أمره، والانتهاء بنهيه، فأين مكانته ﷺ الآن بين المسلمين؟ نسأل الله العفو والعافية.





باب أسماء النَّبيِّ ﷺ وكنيته

عن جُبير بن مطعم عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسةُ أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس علىٰ قدمي، وأنا العاقِب»[٢].

وكان أبو طالب يقول:

وشقَّ لـــه مـن اسـمه ليُجِلَّــهُ   فَـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والحاشر، والمقفّىٰ، ونبيّ التوبة والملْحَمَةِ»[٣].

وقد وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبيه في كتابه فقال: رسولًا، ونبيًّا أميًّا، وشاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنِهِ وسراجًا منيرًا، ورؤوفًا رحيمًا، ومذكِّرًا، ومُدثِّرًا ومُزمِّلًا، وهاديًا.

وقد اجتمعت فيه كل صفات الأنبياء، وزيد عليها بأشياء لم تكن لهم؛ فهو سيد ولد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه يقول: حدثنا رسول الله ﷺ وهو

---

(١) البخاري (١٧٠).

(٢) المسند (١٦٣٣٠)، والبخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٦)، والترمذي (٢٨٤٠) وفي الشمائل له (٣٦٦).

(٣) المسند (١٩١٢٣)، ومسلم (٢٣٥٧)، والمستدرك علىٰ الصحيحين (٦٠٢١٢).

الصادق المصدوق، وكانت قريش تلقبه قبل نزول الوحي بالصادق الأمين، وأكثر ما ورد في أسمائه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صفات له، لا أسماء.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يَصْرِفُ الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مُذَمَّمًا، ويلعنون مُذَمَّمًا، وأنا محمدٌ»[(١)].

وهو خاتم النبيين كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رَجُلٍ بنىٰ بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاويةٍ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[(٢)].

قلت: قال الحافظ رَحِمَهُٱللَّهُ في «الفتح» (٦/ ٦٤٦): «وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ علىٰ سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين».

وأما كنيته ﷺ، فكان يكنىٰ بأبي القاسم، فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نادىٰ رَجُلٌ رَجُلًا بالبقيع: يا أبا القاسم. فالتفت إليه رسول الله ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، إنِّي لم أعنِكَ، إنما دعوت فلانًا. فقال رسول الله ﷺ: «تَسَمَّوْا باسمي، ولا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتي»[(٣)].

وقد اختلف أهل العلم في مسألة جواز التكني بكنيته ﷺ: فذهب البعض أنه لا يجوز، وهو ظاهر الحديث السابق، وحديث جابر في الصحيحين أيضًا: «سموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي». روي ذلك عن الحسن، وابن سيرين، وطاوس، وإليه ذهب الشافعي،

---

(١) المسند (٧٢٨٧)، والبخاري (٣٥٣٣).

(٢) المسند (٢٧٤٩٦)، والبخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٩)، والكبرىٰ للنسائي (١١٣٥٨).

(٣) المسند (١١٧٢٠)، والبخاري (٢١٢٠، ٣٥٣٧)، ومسلم (٢١٣٣)، والترمذي (٢٨٤١)، وابن ماجه (٣٧٣٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٤٥، ٨٣٧).

قال: لا يجوز لأحد أن يتكنىٰ بأبي القاسم، سواء كان اسمه محمدًا أم لم يكن.

وكره قومٌ الجمعَ بين اسم النبي ﷺ وكنيته، وجوزوا التكني بأبي القاسم، إذا لم يكن اسمه محمدًا وأحمد؛ لما أخرجه الترمذي(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ «نهىٰ أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته، ويسمىٰ محمدًا أبا القاسم»، وروىٰ أبو داود عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**من تسمىٰ باسمي، فلا يكتن بكنيتي؛ ومن اكتنىٰ بكنيتي فلا يسمَّ باسمي**». وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، أرأيت إن ولد لي بعدك ولد؛ أُسميه محمدًا، وأكنيه بكنيتك؟ قال: «**نعم**»(٢).

والصحيح من الأقوال جواز التكني بأبي القاسم؛ لكون العلة قد انتفت، والعلة هي عدم إيقاع الناس في الحرج، فلما مات النبي ﷺ؛ زالت العلة، وعلىٰ هذا كثير من السلف. وكان محمد ابن الحنفية يكنىٰ أبا القاسم، ومحمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن الأشعث، ومحمد بن حاطب، جمع كل واحد منهم بين اسم النبي ﷺ وكنيته.

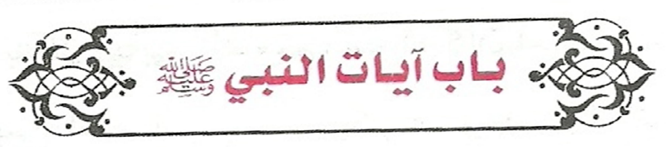
وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل، والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميِّين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتىٰ يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله. ويفتح بها أعينًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا(٣).

---

(١) الترمذي (٢٨٤٣)، بسند صحيح.

(٢) أبو داود (٤٩٦٦)، والترمذي (٢٨٤٦) بسند صحيح.

(٣) المسند (٦٥٨٥)، والبخاري (٢١٢٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٦).



باب آيات النبي ﷺ

لقد أيد الله عَزَّوَجَلَّ أنبياءه بآيات دالات على صدق ما جاؤوا به، ووعد من كذب بها العذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [النحل: ١٠٤]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة ومتنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات؛ ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما لفظ الآية، والبينة، والبرهان(١).

قلت: ولأن الإعجاز ليس من خصائص الأنبياء، فإن الساحر يعجز، والدجال يعجز؛ فينبغي أن نقول: آيات الأنبياء. بدلًا من معجزات الأنبياء، ولأن الآية دليل على صدق من جاء بها، وهذا هو الحامل على تسميتي الباب بهذا الاسم، وموافقة النص أكمل وأسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢).

قلت: فهذه هي الآية العظمى، وهي القرآن؛ فإن النبي من الأنبياء عليهم السلام

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٢).

(٢) المسند (٨٢٨٦)، والبخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٥).

كانت تأتيه الآية تؤيده وتظهر الحق الذي جاء به، وتنتهي بموته، إلا هذه الآية، فهي باقية إلىٰ أن يشاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن عظم الآية كثرة أتباعها ووفرتهم، وتمسكهم بها، وإيمانهم وتصديقهم بها، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما صدق نبي ما صدقت، إن من الأنبياء من لا يصدقه من أمته إلا الرجل الواحد»**[١].

قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فرّق الله تنزيله؛ فكان بين أوله وآخره عشرون أو نحو من عشرين سنة، أنزله قرآنًا عظيمًا، وذكرًا حكيمًا، وحبلًا ممدودًا، وعهدًا معهودًا، وظلًّا عميمًا، وصراطًا مستقيمًا، فيه معجزات باهرة، وآيات ظاهرة، وحجج صادقة، ودلالات ناطقة، أَدْحضَ به حجج المبطلين، ورد به كيد الكائدين، وقوّىٰ به الإسلام والدين، فلمع منهاجه، وثقب سراجه، وشملت بركته، وبلغت حكمته - علىٰ خاتم الرسالة، والصادع بالدلالة، الهادي للأمة، الكاشف للغمة، الناطق بالحكمة، المبعوث بالرحمة، فرفع أعلام الحق، وأحيا معالم الصدق، ودمغ الكذب ومحا آثاره، وقمع الشرك وهدم مناره، ولم يزل يعارض ببيانه أباطيل المشركين حتىٰ مهد الدين، وأبطل شبه الملحدين. صلىٰ الله عليه صلاة لا ينتهي أمدها، ولا ينقطع مددها، وعلىٰ آله وأصحابه الذين هداهم وطهرهم، وبصحبته خصهم وآثرهم، وسلم كثيرًا»[٢].

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل كل كرامة لولي من هذه الأمة، إلا وهي آية للنبي ﷺ؛ لأن هذه الكرامة شهادة من الله أن هذا الولي علىٰ حق، فإذا كان يتبع نبيًّا من الأنبياء؛ فهي أيضًا تستلزم الشهادة لهذا النبي.

قلت: والولي من تحقق فيه صفات الإيمان والتقوىٰ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٣٩٧٠)، ومستخرج أبي عوانة (٣٢٤)، وصحيح ابن حبان (٦٢٤٣)، بسند صحيح.

(٢) أسباب النزول، للواحدي (١/ ٩، ١٠).

«من كان مؤمنًا تقيًّا؛ كان لله وليًّا»[١]. وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخذت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي، وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلىٰ رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: **«أرسلك أبو طلحة؟»**. قال: قلت: نعم. فقال: **«ألطعام؟»**. فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: **«قوموا»**. قال: فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم، حتىٰ جئت أبا طلحة، فأخبرته؛ فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتىٰ لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتىٰ دخلا، فقال رسول الله: **«هلمي، ما عندك يا أم سليم»**. فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت، وعصرت عليه أم سليم عكة لها فَأَدَمَتْهُ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: **«ائذن لعشرة»**. فأذن لهم فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم خرجوا.

ثم قال: **«ائذن لعشرة»**. فأذن لهم، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: **«ائذن لعشرة»**. حتىٰ أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلًا أو ثمانون[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٤٤)، (١١/ ٦٤)، (٢٥/ ٣١٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٢٤) برواية الليثي، والبخاري (٥٣٨١)، ومسلم (٢٠٤٠) (١٤٢)، والترمذي (٣٦٣٩)، والنسائي (٦٦١٧).

تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء، فقال: «**اطلبوا فضلة من ماء**». فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «**حي علىٰ الطهور المبارك، والبركة من الله**». فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: ألله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي علىٰ الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر علىٰ بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا علىٰ طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «**يا أبا هر**». قلت: لبيك رسول الله. قال: «**الْحَقْ**». ومضىٰ، فتبعته فدخل فأستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح؛ فقال: «**من أين هذا اللبن؟**». قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: «**أبا هر**». قلت: لبيك يا رسول الله ﷺ. قال: «**الْحَقْ إلىٰ أهل الصفة فادعهم لي**». قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون علىٰ أهل ولا مال ولا علىٰ أحد، إذا أتته صدقة؛ بعث بها إليهم، ولا يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية؛ أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوىٰ بها، فإذا جاؤوا؛ أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسىٰ أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا؛ فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت.

قال: «**يا أبا هرّ**». قلت: لبيك يا رسول الله ﷺ. قال: «**خذ فأعطهم**». فأخذت

---

(١) المسند (٤٣٧٩)، والبخاري (٣٥٧٩)، والترمذي (٣٦٤٢).

القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يروىٰ، ثم يرد عليَّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يروىٰ، ثم يرد عليَّ القدح، فيشرب حتىٰ يروىٰ، ثم يرد عليَّ القدح، حتىٰ انتهيت إلىٰ النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه علىٰ يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: «**أبا هر**». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**بقيت أنا وأنت**». قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «**اقعد فاشرب**»، فقعدت فشربت، فقال: «**اشرب**». فشربت، فما زال يقول: «**اشرب**». حتىٰ قلت: لا، والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكًا. قال: «**فأرني**». فأعطيته القدح؛ فحمد الله وسمَّىٰ، وشرب الفضلة[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أدعو أمي إلىٰ الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلىٰ الإسلام، فتأبىٰ عليَّ، فدعوتها اليوم؛ فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**». فخرجت مستبشرًا بدعوة النبي ﷺ، فلما جئت فصرت إلىٰ الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي؛ فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت، ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلىٰ رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله، أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك، وهدىٰ أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنىٰ عليه، وقال خيرًا، قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلىٰ عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب عُبَيْدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلىٰ عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**». فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا

---

(١) البخاري (٦٤٥٢)، والترمذي (٢٤٧٧).

أحبني[١].

قلت: صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنا - والله - نحبه، ونسأله تعالىٰ أن نحشر معه؛ فالمرء يحشر مع من أحب.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يقولون: إن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد. ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه. وسأخبركم عن ذلك؛ إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ علىٰ ملء بطني، فأشهد ما غابوا وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يومًا: «**أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلىٰ صدره، فإنه لم ينسَ شيئًا سمعه**».

فبسطت بردة علي حتىٰ فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلىٰ صدري؛ فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت أبدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ إلىٰ آخر الآيتين[٢].

- **عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال**: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله ﷺ علىٰ جبا الركية، فإما دعا وإما بصق فيها. قال: فجاشت؛ فسقينا واستقينا. رواه مسلم بطوله في غزوة ذي قرد[٣].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة، فصلىٰ الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتىٰ إذا

---

(١) المسند (٨٠٦٠)، ومسلم (٢٤٩١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٤).

(٢) المسند (٧٦٤٨)، والبخاري (٢٣٥٠)، ومسلم (٢٤٩٦).

(٣) المسند (١٦٠٨٣)، ومسلم (١٨١٠) بطوله.

كان يومًا؛ أخر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون غدًا - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم؛ فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي**».

فجئناها وقد سبقنا رجلان، والعين مثل الشراك تَبِضُّ بشيء من ماء. قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسستما من مائها شيئًا؟**» قالا: نعم. فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر - أو قال: غزير. شك أبو علي أيهما قال - حتى استقى الناس، ثم قال: «**يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانًا**»[(١)].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا رسول الله ﷺ فأتى البئر وقعد على شفيرها، ثم قال: «**ائتوني بدلو من مائها**». فأتي به، فبصق فدعا، ثم قال: «**دعوها ساعة**». فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا[(٢)].

عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكم؟**». قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك.

قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا. فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف؛

---

(١) مسلم (٢٢٨٢).

(٢) المسند (١٨٠٩٢)، والبخاري (٣٣٥٧، ٤١٥١).

لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[(١)].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما حفر الخندق؛ رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا، فانكفأت إلىٰ امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله خَمصًا شديدًا. فأخرجت إليَّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير، ففرغت إلىٰ فراغي، وقطعتها في بُرمتها، ثم وليت إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله وبمن معه. فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بُهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعالَ أنت ونفر معك. فصاح النبي ﷺ: «**يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع لكم سورًا، فحيَّ هلا بكم**». فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُنْزلُنَّ بُرمتكم، ولا تخبُزُنَّ عجينتكم حتىٰ أجيء**». فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتىٰ جئت امرأتي، فقالت: بك وبك. فقلت: قد فعلت الذي قلت. فأخرجت له عجينًا، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلىٰ برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «**ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تُنزلوها**». وهم ألف، فأُقسم بالله قد أكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[(٢)].

- **عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:** غزوت مع رسول الله ﷺ. قال: فتلاحق بي النبي ﷺ وأنا علىٰ ناضح لنا قد أعيا؛ فلا يكاد يسير، فقال لي: «**ما لبعيرك؟**». قال: قلت: أعيا. قال: فتخلف رسول الله ﷺ فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي: «**كيف ترىٰ بعيرك؟**». قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال: «**أفتبيعنيه؟**». قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره. قال: فقلت: نعم. قال: «**فبعنيه**». فبعته إياه علىٰ أن لي فِقارَ ظهره حتىٰ أبلغ المدينة. قال: فقلت: يا رسول الله، إني عروس.

---

(١) المسند (١٤١١٣)، والبخاري (٣٥٧٦، ٤١٥٢)، ومسلم (١٨٥٦) (٧٣).

(٢) البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

فاستأذنته فأذن لي، فتقدمت الناس إلىٰ المدينة، فلقيني خالي، فسألني عن البعير؛ فأخبرته بما صنعت به، فلامني. قال: وقد كان رسول الله ﷺ قال لي حين استأذنته: «**هل تزوجت بكرًا أم ثيبًا؟**». فقلت: تزوجت ثيبًا. قال: «**فهلا تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟**». قلت: يا رسول الله، توفي والدي - أو استشهد - ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن؛ فتزوجت ثيبًا؛ لتقوم عليهن وتؤدبهن. قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ غدوت بالبعير، فأعطاني ثمنه ورده عليّ[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أباه استشهد يوم أحد، وترك عليه دينًا وترك ست بنات، فلما حضر جذاذ النخل؛ قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد، وترك دينًا كثيرًا، وإني أحب أن يراك الغرماء. فقال: «**اذهب فبيدر كل تمر علىٰ ناحية**». ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه؛ كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأىٰ ما يصنعون؛ أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: «**ادع أصحابك**». فما زال يكيل لهم، حتىٰ أدىٰ الله عن والدي أمانته، وأنا أرضىٰ أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلىٰ أخواتي بتمرة، فسلم الله البيادر كلها، حتىٰ إني أنظر إلىٰ البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال: «**أنا نازل**». ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أهيل - أو أهيم -، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلىٰ البيت. فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعَناق. فذبحت

---

(١) البخاري (٢٩٦٧)، ومسلم (٧١٥).

(٢) البخاري (٢٣٩٦، ٢٧٠٩)، وأبو داود (٢٨٨٤)، والنسائي (٣٦٣٦)، وابن ماجه (٢٤٣٤).

العناق، وطحنت الشعير حتىٰ جعلنا اللحم بالبرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: «**كم هو؟**» فذكرت له، فقال: «**كثير طيب**». قال: «**قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتىٰ آتي**». فقال: «**قوموا**». فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل علىٰ امرأته؛ قال: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: «**ادخلوا ولا تضاغطوا**». فجعل يكسِر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور؛ إذ أخذ منه، ويقرب إلىٰ أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتىٰ شبعوا وبقي بقية، قال: «**كلي هذا وأهدي؛ فإن الناس أصابتهم مجاعة**»(١).

- **عن أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:** خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غدًا**». فانطلق الناس لا يلوي أحد علىٰ أحد، قال أبو قتادة: فبينما رسول الله ﷺ يسير حتىٰ ابهار الليل وأنا إلىٰ جنبه. قال: فنعس رسول الله ﷺ، فمال عن راحلته، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتىٰ اعتدل علىٰ راحلته. قال: ثم سار حتىٰ تهور الليل مال عن راحلته. قال: فدعمته من غير أن أوقظه حتىٰ اعتدل علىٰ راحلته. قال: ثم سار حتىٰ إذا كان من آخر السحر مال ميلة، وهي أشد من الميلتين الأولين، حتىٰ كان ينجفل، فأتيته فدعمته؛ فرفع رأسه فقال: «**من هذا؟**» قلت: أبو قتادة. قال: «**متىٰ كان هذا مسيرك مني؟**» قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة.

قال: «**حفظك الله بما حفظت به نبيه**». ثم قال: «**هل ترانا نخفىٰ علىٰ الناس؟**» ثم قال: «**هل ترىٰ من أحد؟**» قلت: هذا راكب. ثم قلت: هذا راكب آخر. حتىٰ اجتمعنا

---

(١) البخاري (٤١٠١)، والدارمي (٤٣).

كنا سبعة ركب. قال: فمال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضع رأسه، ثم قال: **احفظوا علينا صلاتنا**». فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره، قال: فقمنا فزعين، ثم قال: اركبوا. فركبنا فسرنا حتىٰ إذا ارتفعت الشمس؛ نزل، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء. قال: فتوضأ منها وضوءًا دون وضوء. قال: وبقي فيها شيء من ماء.

ثم قال لأبي قتادة: «**احفظ علينا ميضأتك؛ فسيكون لها نبأ**». ثم أذن بلال بالصلاة؛ فصلىٰ رسول الله ﷺ ركعتين، ثم صلىٰ الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم. قال: وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه. قال: فجعل بعضنا يهمس إلىٰ بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال: «**أما لكم في أسوة؟**» ثم قال: «**أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط علىٰ من لم يصل الصلاة حتىٰ يجيء وقت الصلاة الأخرىٰ، فمن فعل ذلك؛ فليصلها حين ينتبه لها، فإذا كان الغد؛ فليصلها عند وقتها**». ثم قال: «**ما ترون الناس صنعوا؟**» قال: ثم قال: «**أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله ﷺ بعدكم، لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا**».

قال: فانتهينا إلىٰ الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله، هلكنا؛ عطشنا. فقال: «**لا هُلْكَ عليكم**». ثم قال: «**أطلقوا لي غُمَري؟**». قال: ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله ﷺ يصُبُّ وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأىٰ الناس ماءً في الميضأة تكابوا عليها؛ فقال رسول الله ﷺ: «**أحسنوا الملأ؛ كلكم سيروىٰ**». قال: ففعلوا. فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم، حتىٰ ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ. قال: ثم صب رسول الله ﷺ، فقال لي: «**اشرب**». فقلت: لا أشرب حتىٰ يشرب رسول الله. قال: «**إن ساقي القوم آخرهم شربًا**». قال: فشربت،

وشرب رسول الله ﷺ. قال: فأتىٰ الناس الماء جامين رِواءً»[(١)].

- **عن عمران بن حصين قال:** كنت مع نبي الله ﷺ في مسير له، فأدلجنا ليلتنا، حتىٰ إذا كان في وجه الصبح، عرسنا فغلبتنا أعيُنُنَا حتىٰ بزغت الشمس. قال: فكان أول من استيقظ منا أبو بكر، وكنا لا نوقظ نبي الله ﷺ من منامه إذا نام حتىٰ يستيقظ، ثم استيقظ عمر، فقام عند نبي الله ﷺ، فجعل يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتىٰ استيقظ رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه ورأىٰ الشمس قد بزغت؛ قال: «**ارتحلوا**». فسار بنا حتىٰ إذا ابيضت الشمس؛ نزل، فصلىٰ بنا الغداة، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا، فلما انصرف؛ قال له رسول الله ﷺ: «**يا فلان، ما منعك أن تصلي معنا؟**» قال: يا نبي الله، أصابني جنابة. فأمره رسول الله ﷺ؛ فتيمم بالصعيد، فصلىٰ، ثم عجَّلَني في ركب بين يديه، نطلب الماء، وقد عطشنا عطشًا شديدًا، فبينما نحن نسير، إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين، فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: أَيْهَاهْ، أيهاه، لا ماء لكم. قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة. قلنا: انطلقي إلىٰ رسول الله ﷺ. قالت: وما رسول الله ﷺ؟ فلم نملكها من أمرها شيئًا حتىٰ انطلقنا بها، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ، فسألها؛ فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مُوتِمَة، لها صبيان أيتام؛ فأمر براويتها؛ فأنيخت فمج في العزلاوين العلياوين، ثم بعث براويتها فشربنا - ونحن أربعون رجلًا عطاش - حتىٰ روينا، وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسَّلنا صاحبنا، غير أنا لم نسق بعيرًا، وهي تكاد تنضرج من الماء - يعني المزادتين -، ثم قال: «**هاتوا ما عندكم**». فجمعنا لها من كسر وتمر، وصر لها صرة، فقال لها: «**اذهبي فأطعمي هذا عيالك، واعلمي أنا لم نزرأ من مائك**». فلما أتت أهلها؛ قالت: لقد لقيت أسحر البشر، أو إنه النبي كما زعم؛ كان من أمره ذَيْتَ وذَيْتَ. فهدىٰ الله

---

(١) المسند (٢٢٠٣٩)، ومسلم (٦٨١)، وأبو داود (٥٢٢٨) مختصرًا.

ذاك الصِّرْم بتلك المرأة؛ فأسلمت وأسلموا[(١)].

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دعا بماء، فأتي بقدح رحراح، فجعل القوم يتوضئون، فحرزت ما بين الستين إلىٰ الثمانين. قال: فجعلت أنظر إلىٰ الماء ينبع من بين أصابعه[(٢)]. وفي رواية قتادة: كانوا زهاء الثلاثمائة[(٣)].

- **عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ بشقتين، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[(٤)].

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين. هذا لفظ مسلم. ولفظ البخاري: فأراهم القمر شقتين، حتىٰ رأوا حراءً بينهما[(٥)].

- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن القمر انشق في زمان النبي ﷺ[(٦)].

- **روىٰ البيهقي في «الاعتقاد»[(٧)] من طريق ابن أبي حاتم عن أبيه قال:** قال عمرو بن سواد: قال لي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أعطىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ نبيًّا ما أعطىٰ محمدًا ﷺ. فقلت: أعطىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إحياء الموتىٰ. فقال: أعطىٰ محمدًا ﷺ الجذع الذي كان يخطب إلىٰ جنبه، حتىٰ هيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر حنَّ الجذع حتىٰ سُمع له

---

(١) المسند (١٩٣٩٦)، والبخاري (٣٥٧١)، ومسلم (٦٨٢)، والدارمي (٧٤٩)، وابن خزيمة (١١٣)، (٢٧١)، (٩٨٧)، (٩٩٧)، والصِّرم: أبيات مجتمعة، أو هم ينزلون بأهليهم علىٰ الماء.

(٢) المسند (١٢٠٨٨)، والبخاري (٢٠٠)، ومسلم (٢٢٧٩) (٤)، وعبد بن حميد (١٣٦٥) (١٢٨٤).

(٣) البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩) (٦).

(٤) المسند (٣٥٧٣)، والبخاري (٣٦٣٦، ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠)، والترمذي (٣٢٨٥).

(٥) البخاري (٣٦٣٧، ٣٨٣٦، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٦) البخاري (٣٦٣٨، ٣٨٧٠، ٤٨٦٦)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٧) (٣٦٤).

صوت، فهذا أكبر من ذلك.

- **عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:** «كان النبي ﷺ يخطب إلىٰ جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع؛ فأتاه فمسح يده عليه»[١].

- **عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:** أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلىٰ شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «**إن شئتم**». فجعلوا له منبرًا.

فلما كان يوم الجمعة، دفع إلىٰ المنبر؛ فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يسكن. قال: «**كانت تبكي علىٰ ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[٢].

- عن أنس بن مالك، أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول: كان المسجد مسقوفًا علىٰ جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلىٰ جذع منها، فلما صُنع له المنبر، فكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العِشار، حتىٰ جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها، فسكنت[٣].

وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: «يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلىٰ رسول الله ﷺ شوقًا إلىٰ لقائه؛ فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه».

- **عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** كنت غلامًا يافعًا في غنم لعقبة بن أبي معيط أرعاها، فأتىٰ عليّ رسول الله وأبو بكر معه، قال: فقال: «**يا غلام، هل عندك من لبن؟**» قال: فقلت: نعم، ولكني مؤتمن. فقال: «**ائتني بشاة لم يَنْزُ عليها الفحل**». فأتيته

---

(١) البخاري (٣٥٨٣).

(٢) البخاري (٣٥٨٤).

(٣) البخاري (٣٥٨٥).

بعناق جذعة، فاعتقلها رسول الله ﷺ. قال: ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو حتىٰ حلبت. قال: وأتاه أبو بكر بصخرة فاحتلب فيها، ثم قال لأبي بكر: «**اشرب**». فشرب أبو بكر، ثم شرب النبي ﷺ. قال: ثم قال النبي ﷺ للضرع: «**اقلص**». فقلص، فعاد كما كان. قال: ثم أتيت النبي ﷺ بعد، فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا الكلام، أو من هذا القرآن. قال: فمسح رأسي، ثم قال: «**إنك غلام معلم**». فأخذت منه سبعين سورة ما نازعنيها بشر[(١)].

- **عن ابن عباس قال:** جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «**إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله؟**» فدعاه رسول الله ﷺ؛ فجعل ينزل من النخلة حتىٰ سقط إلىٰ النبي ﷺ، ثم قال: «**ارجع**». فعاد؛ فأسلم الأعرابي[(٢)].

- **عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:** سرنا مع رسول الله ﷺ حتىٰ نزلنا واديًا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ، فلم يرَ شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي؛ فانطلق رسول الله ﷺ إلىٰ إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «**انقادي علي بإذن الله**». فانقادت معه كالبعير المخشوش - أي: الذي وُضِع فيه قيد - الذي يصانع قائده حتىٰ أتىٰ الشجرة الأخرىٰ، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «**انقادي عليَّ بإذن الله**». فانقادت معه كذلك، حتىٰ إذا كان بالمنصف مما بينهما، لَأَم بينهما - يعني: جمعهما - فقال: «**التئما عليَّ بإذن الله**». فالتأمتا.

---

(١) حديث حسن: المسند (٤٣٩٨)، ومسند أبي يعلىٰ الموصلي (٥٠٩٦)، وابن حبان (٦٥٠٤، ٧٠٦١)، والذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) الترمذي (٣٦٢٨)، وقال: حسن صحيح. والدارمي في المقدمة برقم (٢).

قال جابر: فخرجت أحضر[١]؛ مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي؛ فيبتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلًا، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما علىٰ ساق[٢].

- **عن عبد الله بن جعفر قال:** أردفني رسول الله ﷺ خلفه، فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأىٰ النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، وجاء إليه؛ فأتاه النبي ﷺ، فمسح ذفراه؛ فسكت، فقال: «**من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكاك إليّ، وزعم أنك تجيعه وتدئبه**»[٣].

- **عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون[٤] عليه، وإن الجمل استصعب عليهم؛ فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**». فقاموا، فدخل الحائط، والجمل في ناحية، فمشىٰ النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا نبي الله، إنه قد صار مثل الكلْب الكلِب[٥]، وإنا نخاف عليك صولته. فقال: «**ليس علي منه بأس**». فلما نظر الجمل إلىٰ رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتىٰ خرَّ ساجدًا بين يديه؛ فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتىٰ أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا

---

(١) الجري الشديد.

(٢) مسلم (٣٠١٢) بطوله، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٧)، (٧٣٨)، وأبو داود (٤٨٥)، (٦٣٤)، (١٥٣٢) مختصرًا.

(٣) المسند (١٧٤٧)، وأبو داود (٢٥٤٩)، وهو عند مسلم (٣٤٢، ٢٤٢٩) بدون ذكر القصة. وابن ماجه (٣٤٠)، والدارمي (٦٦٩)، (٧٦١)، وابن خزيمة (٥٣)، وتدئبه: أي تتعبه.

(٤) يدير لهم السانية، وهي الساقية.

(٥) المسعور.

رسول الله، هذه بهيمة لا تعقل، تسجد لك، ونحن نعقل؛ فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلىٰ مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحسته، ما أدت حقه»[(١)].

- **عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:** «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله علىٰ يديه**». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا علىٰ رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**». فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: «**فأرسلوا إليه فأتوني به**». فلمّا جاء بَصق في عينيه، ودعا له؛ فبرأ حتىٰ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية؛ فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه؛ فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[(٢)].

- **عن يزيد بن أبي عبيد قال:** رأيت ضربة في ساق سلمة؛ فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر؛ فقال الناس: أصيب سلمة. فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيت حتىٰ الساعة»[(٣)].

- **عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه - وقد غربت

---

(١) إسناده جيد، المسند (١٢٢٠٣)، وقال ابن كثير: إسناد جيد. البداية والنهاية (٦/ ١٧٧).

(٢) البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) المسند (١٦١٧٠)، والبخاري (٤٢٠٦)، وأبو داود (٣٨٩٤)، وسلمة هو ابن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشمس، وراح الناس بسرحهم - فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم؛ فإني منطلق ومتلطف للبواب؛ لعلي أن أدخل. فأقبل حتىٰ دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأغاليق علىٰ وتد. قال: فقمت إلىٰ الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليّ من داخل.

قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتىٰ أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسَط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش؛ فما أغنيت شيئًا. وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلًا في البيت ضربني قبلُ بالسيف.

قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتىٰ أخذ في ظهره؛ فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتىٰ انتهيت إلىٰ درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرىٰ أني قد انتهيت إلىٰ الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة؛ فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتىٰ جلست علىٰ الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتىٰ أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك، قام الناعي علىٰ السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلىٰ أصحابي فقلت: النجاء؛ فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلىٰ النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: «**ابسط رجلك**»، فبسطت رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط[(١)].

- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق

---

(١) البخاري (٣٠٢٣، ٤٠٣٩، ٤٠٤٠).

شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتىٰ كاله، فأتىٰ النبي ﷺ فقال: «**لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم**»[(١)].

- **وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** أن أم مالك كانت تُهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمنًا، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم، وليس عندهم شيء، فتعمد إلىٰ الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمنًا، فما زال يقيم لها أُدم بيتها حتىٰ عصرته. فأتت النبي ﷺ فقال: «**عصرتيها؟**» قالت: نعم. قال: «**لو تركتيها ما زال قائمًا**»[(٢)].

- **عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:** «كان لأهل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب وذهب وجاء، فإذا جاء رسول الله ﷺ، ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ في البيت»[(٣)].

- **عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** أن رسول الله ﷺ قال: «**هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله، ما يخفي عليّ ركوعكم ولا سجودكم؛ إني لأراكم وراء ظهري**»[(٤)].

- **عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** أن رجلًا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**»، قال أنس: ولا والله، ما نرىٰ في السماء من سحاب ولا قزَعَة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: فلا والله، ما رأينا الشمس سبتًا.

---

(١) مسلم (٢٢٨١).

(٢) مسلم (٢٢٨٠).

(٣) المسند (٢٤٢٩٦)، وصححه الذهبي في السير (٢٧/ ٣٠٧)، ومعنىٰ يترمرم: سكن ولم يتحرك.

(٤) مالك في الموطأ (٤٦٠) برواية الليثي، والمسند (١٢٦٠٤)، والبخاري (٤١٨، ٧٤١)، ومسلم (٤٢٤).

قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم حولنا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والظراب وبطون الأودية، ومنابت الشجر**». فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس [(١)].

قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري.

- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أُتي بقصعة فيها طعام؛ فتعاقبوها إلىٰ الظهر منذ غدوه، يقوم قوم ويقعد آخرون. فقال رجل لسمرة: هل كانت تمد؟ قال: فمن أيش تعجب؟ ما كانت تمد إلا من هاهنا، وأشار إلىٰ السماء [(٢)]، وأشار يزيد بن هارون إلىٰ السماء.

- **عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن بمكة حجرًا كان يسلم عليّ ليالي بُعثت، إني لأعرفه الآن**» [(٣)].

- **عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:** عدا الذئب علىٰ شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعىٰ الذئب علىٰ ذنبه، فقال: ألا تتقي الله؛ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليّ؟ فقال: يا عجبي! ذئب يكلمني كلام الأنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتىٰ دخل المدينة، فزواها إلىٰ زاوية من زواياها، ثم أتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي: (الصلاة جامعة). ثم خرج فقال للراعي:

---

(١) البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧)، والنسائي (٣/ ١٦٠)، وابن خزيمة (١٤٢٣).

(٢) المسند (٩٦٨٣)، والترمذي (٣٦٣٤)، والدارمي في المقدمة (١/ ٣٠).

(٣) المسند (٢٠٣١٦)، ومسلم (٢٢٧٧)، والترمذي (٣٦٣٣)، والدارمي (١/ ١٢).

«أخبرهم». فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتىٰ يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده**»(١).

- عن أنس رضي الله عنه: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلىٰ رسول الله ﷺ وهو جالس حزين، قد خضب بالدماء؛ قد ضربه بعض أهل مكة، فقال: «**ما لك؟** قال: **فعل بي هؤلاء وفعلوا**. قال: **أتحب أن أريك آية؟** قال: **نعم، أرني**. فنظر إلىٰ شجرة من وراء الوادي، قال: **ادع تلك الشجرة**. فدعاها؛ فجاءت تمشي حتىٰ قامت بين يديه، قال: **قل لها فلترجع**، فقال لها؛ فرجعت حتىٰ عادت إلىٰ مكانها، فقال رسول الله ﷺ: **حسبي**»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: كان رجل يكتب للنبي ﷺ، وكان قد قرأ البقرة وآل عمران عد فينا ذا شأن، وكان النبي ﷺ يُمل عليه: **غفورًا رحيمًا**، فيكتب: عفوًّا غفورًا، فيقول النبي ﷺ: **اكتب**. ويملي عليه: **عليمًا حكيمًا**، فيكتب: (سميعًا بصيرًا)، فيقول النبي ﷺ: **اكتب أيهما شئت**.

قال: فارتد عن الإسلام، فلحق بالمشركين، فقال: أنا أعلمكم بمحمد؛ إن كنت لأكتب ما شئت. فمات، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**إن الأرض لن تقبله**». قال: فقال أبو طلحة: فأتيت الأرض التي مات فيها، وقد علمت أن الذي قال رسول الله ﷺ كما قال، فوجدته منبوذًا، فقلت: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه؛ فلم تقبله الأرض(٣).

قلت: أشكل هذا الحديث علىٰ بعض الناس؛ فظن أن القرآن قد طرأ عليه التحريف

---

(١) المسند (١١٣٨٣)، والترمذي (٢١٨١) بدون ذكر القصة، وقال ابن كثير: إسناد علىٰ شرط الصحيح، وصححه البيهقي.

(٢) المسند (١١٧٠٢)، والدارمي في سننه (٢٣)، وابن ماجه (٤٠٢٨)، وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام (١/ ٤٨).

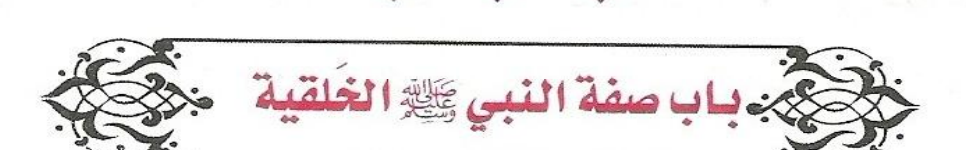
(٣) صحيح ابن حبان (٧٤٤) بسند صحيح، وأصل الحديث في الصحيحين: البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨٤).

والتغير، وهذا ليس بصحيح؛ فهذا الحديث يُحمل علىٰ الكتب التي كان يكتبها النبي ﷺ إلىٰ الملوك والأمراء، فيأمر الكاتب أن يكتب (سميعًا بصيرًا) فيكتب (عليمًا حكيمًا) فيقول له النبي ﷺ: **اكتب ما شئت.** لأن كل ذلك صفات الرب عَزَّوَجَلَّ.

والنبي ﷺ - وهو من هو - لا يستطيع أن يبدل حرفًا أو يغير كلمة، فمن دونه من باب أولىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس: ١٥]، والله عَزَّوَجَلَّ قد عصم كتابه من التحريف والتبديل، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت: ٤٢].

❁ ❁ ❁



باب صفة النبي ﷺ الخَلقية

هذا الباب لبيان وصف النبي ﷺ من شعره إلىٰ أخمص قدميه، كأنك تراه، وعادة المحب أن يتطلع لمعرفة كل شيء عن حبيبه، ولا يمل ولا يسأم من ذلك.

والمحبة نوعان: محبة جبلية، ومحبة اختيارية.

أما الجبلية فكحب الوالد لولده، فهذه لا يثاب المرء عليها، ولا يعاقب إلا إذا أودت إلىٰ محرم، كأن يمنع الوالد الزكاة لأجل الولد، أو يكتب الميراث له ويجحد حق الآخرين.

ففي سنن النسائي، عن قرة بن إياس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك؛ فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه؛ فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: **«ما لي لا أرىٰ فلانًا؟»** قالوا: يا رسول الله، بُنَيُّه الذي رأيته هلك.

فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بُنَيِّه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: «**يا فلان، أيما كان أحب إليك: أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غدًا إلىٰ باب من أبواب الجنة، إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟**» قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلىٰ باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليَّ. قال: «**فذاك لك**»[1].

والمحبة الاختيارية هي المقصودة هنا؛ إذ بها يثاب المرء، كما عند البخاري من حديث عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[2].

فينبغي أن يكون رسول الله ﷺ هو صاحب الحظ الأوفر في ذلك؛ إذ به اسْتُنْقِذ من النار وهُدي من الضلال، فلا بد أن تجرد محبته من الدعوىٰ الزائفة، بالعمل علىٰ نشر سنته، والذب عن شريعته، وبذل النفس والأموال والأولاد دونه؛ فبهذا تظهر حقيقة الإيمان به.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشد أمتي لي حبًّا؛ ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**»[3].

وفي رواية: «**لو اشترىٰ رؤيتي بأهله وماله**»[4]. وفي رواية: «**أن يفتدي برؤيتي أهله وماله**»[5].

---

(١) المسند (١٩٨٥٣)، وسنن النسائي الصغرىٰ (٢٠٨٨)، والبيهقي في الكبرىٰ (٤/ ٥٩)، بسند صحيح.

(٢) البخاري (٦٦٣٢).

(٣) أحمد (٢٧٦٠٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين (٤/ ٧٩) بسند حسن.

(٥) كشف الأستار (٢٨٣٨)، بسند حسن.

ورواه البخاري، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «وليأتين علىٰ أحدكم زمان، لأن يرآني؛ أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله»(١).

فالمحب حريص علىٰ معرفة كل التفاصيل التي تخص حبيبه، حتىٰ إذا رآه عرفه، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «تسموا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتخيل بي. ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»(٤).

وعن أبي قتادة حارث بن ربعي الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني فقد رأىٰ الحق»(٥).

وكان النبي ﷺ أقرب الناس شبهًا بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «عُرض عليَّ الأنبياء، فإذا موسىٰ ضرب من الرجال، كأنه من رجَال شنوءة، ورأيت عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم - يعني: نفسه -، ورأيت جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإذا

---

(١) البخاري (٣٥٨٩).

(٢) البخاري (١١٠).

(٣) أحمد (١٣٤٣٧)، والبخاري (٦٩٩٤).

(٤) البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٨).

(٥) البخاري (٦٩٩٦)، ومسلم (٢٢٦٨).

أقرب من رأيت به شبهًا دحية»[١].

عن حبيش بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة، وخرج منها مهاجرًا إلىٰ المدينة، هو، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولىٰ أبي بكر عامر بن فهيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودليلهما عبد الله بن الأريقط، مروا علىٰ خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنين، فنظر رسول الله ﷺ إلىٰ شاة في كسر الخيمة، فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**» قالت: خلفها الجهد عن الغنم. قال: «**فهل بها من لبن؟**» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «**أتأذنين أن أحلبها؟**» قالت: بلىٰ، بأبي أنت وأمي، نعم إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها وسمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ودعا لها في شاتها؛ فتفاحت عليه ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيها ثجًّا حتىٰ علاه البهاء، ثم سقاها حتىٰ رويت، وسقىٰ أصحابه حتىٰ رووا، وشرب آخرهم، ثم أراضوا، ثم حلب فيهًا ثانيًا بعد بدء حتىٰ ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها.

فقلما لبثت حتىٰ جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنُزًا عجافًا يتساوكن هزلًا ضحًىٰ، مخهن قليل، فلما رأىٰ أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب حيال ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي يا أم معبد.

قالت: رأيت رجلًا ظاهرَ الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثُجْلة ولم تُزْرَ به صعلة، وسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء،

---

(١) المسند (١٤١٧٩)، ومسلم (١٦٩)، والترمذي (٣٦٤٩)، ومسند عبد بن حميد (١٠٤٥).

أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا هذر ولا تزر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربع لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين؛ فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلىٰ أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلىٰ ذلك سبيلًا.

فأصبح صوت بمكة، يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه، وهو يقول:

جزىٰ الله رب الناس جزاءه	رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدىٰ واهتدت به	فقد فاز من أمسىٰ رفيق محمد
فيا لقصيٍّ ما زوىٰ الله عنكم	به من فعال لا تجارىٰ وسؤدد
ليَهْن بني كعب مكان فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	عليه صريحًا ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنًا لديها لحالب	يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت بذلك شبب يجيب الهاتف، وهو يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم	وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحل علىٰ قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم	وأرشدهم، من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضُلَّال قوم تسفهوا	عِمَايَـأتَهم هاد به كل مهتد
وقد نزلت منه علىٰ أهل يثرب	ركاب هدًىٰ حلت عليهم بأسعد

نبي يرىٰ ما لا يرىٰ الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحىٰ الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يُسعد اللهُ يسعد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد[(١)].

وكان الرجل إذا قال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي، قيل: صفه، فإن جاء بالوصف قيل: رأيته. وإلا فلا.

كما جاء في «مسند الإمام أحمد» و«مستدرك الحاكم»، عن عاصم بن كليب عن أبيه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني؛ إن الشيطان لا يتمثل بي**». فحدثت به ابن عباس، وقلت: قد رأيته ﷺ، فذكرت الحسن بن علي فشبهته به، فقال ابن عباس: إنه كان يشبهه[(٢)].

قلت: ومما يدل علىٰ أن الحسن بن علي كان أكثر الناس شبهًا بالنبي ﷺ؛ ما رواه البخاري عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ، وعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يمشي إلىٰ جنبه، فمر بالحسن بن علي يلعب مع الغلمان، فاحتمله علىٰ رقبته، وهو يقول:

بأبي شبه النبي ... ليس شبيهًا بعليِّ

وعليٌّ يضحك[(٣)].

---

(١) الطبراني في المعجم الكبير (٣٦٠٥) بسند حسن، والأحاديث الطوال للطبراني (٣٠)، والشريعة للآجري (٧٠٥).
لم تُزْرِ به صعلة: أي صغر الرأس. وطف: طول الأشفار. صهل: صوت فيه بحَّة. سطع: طول الرقبة. تقتحمه: لا تزدريه.

(٢) المسند (٨٣٠٣)، والمستدرك للحاكم (٤/ ٤٣٥)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أحمد (٣٩)، والبخاري (٣٥٤٢).

وأيضًا ما رواه البخاري، عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ، وكان الحسن بن علي يشبهه»[١].

وفي «مسند الإمام أحمد» و«شمائل الترمذي» بسند صحيح إلىٰ يزيد الفارسي - وكان يكتب المصاحف في زمان ابن عباس -، قال: قلت لابن عباس: إني رأيت رسول الله ﷺ في النوم. قال ابن عباس: فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «**إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم، فقد رآني**». فهل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذي رأيت؟ قال: قلت: نعم، رأيت رجلًا بين الرجلين جسمه ولحمه، أسمر إلىٰ البياض، حسن المضحك، أكحل العينين، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته من هذه إلىٰ هذه حتىٰ كادت تملأ نحره. قال ابن عباس: لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا[٢].

فإليك نعته ﷺ من شعره إلى أخمص قدميه كأنك تراه ﷺ:

- **أما رأسه ﷺ:** فكان ضخم الرأس:

كما جاء في «مسند أحمد» بسند حسن، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويل المسْرُبَةِ، إذا مشىٰ تكفَّأ تكفؤًا كأنما انحط من صبب، لم أرَ قبله ولا بعده مثله»[٣].

- **وأما شعر رأسه ﷺ:** فلم يكن بالسبط ولا بالرجل، ولكن كان بين بين:

كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ ربعة من الناس، ليس

---

(١) البخاري (٣٥٤٣)، والترمذي (٣٧٧٧).

(٢) المسند (٣٤٠٠)، والشمائل للترمذي (٤١٢).

(٣) أحمد (٧٤٨)، والترمذي (٣٦٣٧)، بسند حسن.

بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق ولا الآدم، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط. بعثه الله علىٰ رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله علىٰ رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[(١)].

والجعد القطط: الخشن الملتوي.

والسبط: المنبسط المسترسل.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة، رَجِلَ الشعر»[(٢)].

وعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن شعر رسول الله ﷺ فقال: كان شعر رسول الله ﷺ رَجِلًا؛ ليس بالسبط ولا الجعد، بين أذنيه وعاتقه[(٣)].

وكان شعره ﷺ يصل إلىٰ عاتقه ويغطي شحمة أذنه ﷺ:

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان شعره ﷺ فوق الوفرة، ودون الجُمَّة»[(٤)].

والوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلىٰ شحمة الأذن.

والجُمَّة: ما سقط علىٰ المنكبين من شعر الرأس.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله ﷺ رجلًا مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلىٰ شحمة أذنيه، عليه حُلّة حمراء. ما رأيت شيئًا قط أحسن منه»[(٥)].

وكان ﷺ يفرق شعره:

كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان أهل الكتاب

---

(١) البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٥٠)، والترمذي (٣٦٢٣).

(٢) الشمائل للترمذي (١٢) بسند حسن.

(٣) البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٩)، وابن ماجه (٣٦٣٤).

(٤) أحمد (٢٤٣٤٩)، وأبو داود (٤١٨٧)، وابن ماجه (٣٦٣٥)، بسند حسن.

(٥) البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٨)، وأبو داود (٤٠٧٢)، والترمذي (٣٦٣٥).

يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به؛ فسدل رسول الله ﷺ ناصيته، ثم فرق بعد»[(١)].

وعن حميد الطويل: أن أنسًا سُئل عن شعر رسول الله ﷺ، فقال: «ما رأيت شعرًا أشبه بشعر رسول الله ﷺ من شعر قتادة». ففرح يومئذ قتادة»[(٢)].

وكان أحيانًا يصنع شعره أربع غدائر:

فعن أم هانئ، فاختة بنت أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «قدم النبي ﷺ مكة وله أربع غدائر»[(٣)]. تعني: ضفائر.

قلت: ولذلك فإن من السنة من أطلق شعره ألا يكفته ولا يعقصه في الصلاة؛ لما في «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «**أُمرت أن أسجد علىٰ سبعة أعضاء** - وأشار إلىٰ جبهته وأنفه، ويديه، وركبتيه، وأطراف القدمين -، **ولا نكفت الثياب، ولا الشعر**»[(٤)].

وعن أبي رافع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ نهىٰ أن يصلي الرجل وهو عاقص شعره[(٥)]. والعَقْص: أن يجمع شعره من خلف بشيء يربطه. وفي رواية أخرىٰ: «**ذلك كفل الشيطان**»[(٦)] يعني: مقعد الشيطان.

---

(١) أحمد (٢٣٦٠)، والبخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) المسند (١٣٤٤٦)، ومسند أبي يعلىٰ الموصلي (٣٨٧٠)، بسند صحيح.

(٣) أحمد (٢٦٣٤٩)، وأبو داود (٤١٩١)، والترمذي (١٧٨١)، وابن ماجه (٣٦٣١)، بسند صحيح.

(٤) مسلم (٤٩٢).

(٥) أحمد (٢٣٣٦٠)، وابن ماجه (١٠٤٢) وهو صحيح لغيره. وقال الترمذي: حديث أبي رافع حديث حسن، والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم؛ كرهوا أن يصلي الرجل وهو معقوص شعره.

(٦) أبو داود (٣٨٤)، والترمذي (٦٤٦)، صحيح.

- **وأما وجهه ﷺ:** فكان أبيض مُشربًا بحمرة مستديرًا:

كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وكان أزهر اللون؛ ليس بأبيض أمهق ولا آدم»[(١)].

أمهق: أبيض ناصعاً من غير حمرة.

وآدم: أسمر.

والأزهر: الأبيض المستنير المشرب بحمرة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ؛ كأنما الشمس تجري في وجهه»[(٢)].

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: قلت للربيع بنت معوذ بن عفراء: صفي لنا رسول الله ﷺ. فقالت: يا بني، لو رأيته؛ رأيتَ الشمس طالعة[(٣)].

وعن أبي إسحاق السبيعي - عمرو بن عبد الله بن عبيد - قال: «سُئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر»[(٤)].

وعن الجريري، عن أبي الطفيل قال: قلت له: أرأيت رسول الله ﷺ؟

قال: «نعم، كان أبيض مليح الوجه»[(٥)].

قال مسلم بن الحجاج: مات أبو الطفيل سنة مائة، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سئل: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟

---

(١) البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٥٠)، والترمذي (٣٦٢٣).

(٢) ابن حبان في صحيحه (٦٣٠٩) بسند حسن.

(٣) سنن الدارمي (٦٠) بسند حسن.

(٤) أحمد (١٨٠١٠)، والبخاري (٣٥٥٢)، والترمذي (٣٦٣٦).

(٥) المسند (٢٣٢٨٤)، ومسلم (٢٣٤١)، وأبو الطفيل: عامر بن واثلة الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: «لا، بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديرًا»[(١)].

- وأما حاجباه ﷺ، فكان أزج الحاجبين من غير قرن.

أي: أن الحاجب يدور بالعين كالهلال، مع دقة فيه، من غير اتصال الحاجبين بعضهما البعض.

والترجمة قد جاءت في أحاديث، وفي حديث أم معبد: «أزَج، أقرن». والجمع بينهم أنه لم يكن أقرن على الحقيقة، بل كان بين الحاجبين فرجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر إليها.

وهذا تفعله النساء وقد نهينا عنه، ويدل لذلك ما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله الواشمات، والمتوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله**»[(٢)].

- وأما عيناه ﷺ، فكان شديد سواد الحدقة مع شدة بياض العين، مع طول في أشفار العين، وكان أكحل العين.

كما في حديث أم معبد: «في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف»[(٣)].

دعج: شدة سواد العين في شدة بياضها.

وطف: طول الأشفار.

وفي حديث جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقبين، قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين، قال: قلت: ما منهوس العقب؟

---

(١) مسلم (٢٣٤٦).

(٢) البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٧).

(٣) مضىٰ تخريجه.

قال: قليل لحم العقب»[(١)].

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة، وكان لا يضحك إلا تبسمًا، وكنت إذا نظرت إليه، قلت: أكحل العينين، وليس بأكحل»[(٢)].

والكحل سنة للرجال والنساء جميعًا، لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«البسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم، وإن خير أكحالكم الإثمد؛ يجلو البصر، وينبت الشعر»**[(٣)].

- وأما فمه ﷺ، فكان ضليع الفم، حسن الثغر، مفلج الأسنان.

كما في حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ضليع الفم، قلت: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم».

وفي «دلائل النبوة» للبيهقي بسند حسن، عن سعيد بن المسيب، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ، فقال: «كان رسول الله ﷺ: أسود اللحية، حسن الثغر»[(٤)].

الثغر: الأسنان التي لم تسقط من منبتها.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** «كان رسول الله ﷺ أفلج الأسنان، أشنبها، وكان سهل الخدين، صلتهما، فَعم الأوصال...». الحديث[(٥)].

قلت: وهذا كان خلقة في النبي ﷺ وكان حسنًا فيه، وأما ما تفعله النساء - من الفلج - فقد نهينا عنه كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله»**.

---

(١) المسند (٢٠٤٧٩)، ومسلم (٢٣٤١).

(٢) المسند (٢٠٤٩٨)، والترمذي (٣٦٤٥) بسند حسن.

(٣) المسند (٢٢٢٠)، وأبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤) وقال: حسن صحيح، وهو كما قال.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢١٧) بسند حسن.

(٥) غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٩٧) بسند حسن في الشواهد والمتابعات.

- أما لحيته ﷺ، فكان صاحب لحية كثة.

كما في حديث عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ: ضخم الرأس، عظيم العينين، هَدِب الأشفار، مُشرب العين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، إذا مشىٰ تكفأ كأنما يمشي في صُعُد، وإذا التفت التفت جميعًا، شثن الكفين والقدمين»[(١)].

وعن جهضم بن الضحاك، قال: قلت لعداء بن خالد بن هوذة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت النبي ﷺ؟ قال: «نعم، وكان حسن السبلة»، قال: وكانت العرب تسمىٰ اللحية السبلة[(٢)].

وكل الأحاديث التي وردت عنه ﷺ تأمر بتوفير اللحية وتمام إعفائها، أما ما جاء في بعض الأحاديث، أنه كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها؛ فلا تصح بحال. فقد روىٰ الترمذي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: «أن النبي ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها»[(٣)]، ففيه عمر بن هارون، وهو متروك الحديث.

وفي حديث أم معبد: «وفي لحيته كثاثة»[(٤)].

وعن عبد الله بن سخبرة، قال: قلنا لخباب: أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم، قلنا: بم كنتم تعرفون ذلك؟ قال: «باضطراب لحيته»[(٥)].

- وأما عنقه ﷺ، فكان طويل العنق، واسع ما بين المنكبين، واسع الجبين.

كما في حديث أم معبد: «في صوته صَهَل، وفي عنقه سَطَع».

---

(١) المسند (٦٨٦)، والبحر الزخار (٦٤٥) بسند حسن.

(٢) الطبراني في الكبير (١٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٠٧٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (١ / ٢١٧) عن رجل، وقد ورد ذكره عند الطبراني والبخاري في التاريخ، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٥٦٢٠)، وهو العداء بن خالد بن هوذة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث: حسن.

(٣) الترمذي في سننه (٢٧٦٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٠٧٤)، والحديث ضعيف.

(٤) مضىٰ تخريجه.

(٥) المسند (٢٠٥٥٥)، والبخاري (٧٤٦).

صهل: حدة وصلابة مع بحَّةٍ فيه.

سطع: ارتفاع وطول.

وعن سعيد بن المسيب، أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف رسول الله ﷺ، فقال: «كان رجلًا ربعة، وهو إلىٰ الطول أقرب، شديد البياض، أهدب أشفار العين، بعيد ما بين المنكبين، مفاض الجبين، يطأ بقدمه الأرض جميعًا، ليس فيها خمص، يقبل جميعًا، ويدبر جميعًا، لم أر مثله قبله، ولا بعده ﷺ» [(١)].

مفاض: واسع الجبين.

الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.

- وأما صدره وظهره ﷺ، فلم يكن فيهما شعر، بخلاف ذراعيه وساقيه، فكان كثير الشعر، وكان دقيق المسربة.

المَسْرُبة: شعر في وسط الصدر إلىٰ البطن.

- وأما ساقه ﷺ، فكانت كثيرة الشعر، شديدة البياض، مع دقة فيها.

كما في حديث سراقة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أتيت رسول الله ﷺ، فلما دنوت منه وهو علىٰ ناقته، أنظر إلىٰ ساقه كأنها جُمارة» [(٢)].

الجمارة: قلب النخلة وشحمتها.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة، وكان لا يضحك إلا تبسمًا، وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين وليس بأكحل» [(٣)].

وأحمش: دقيق الساقين.

---

(١) مضىٰ تخريجه.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٢٠٢)، ومعجم الصحابة لابن قانع (١٠٥٩)، وسنده حسن في الشواهد والمتابعات.

(٣) أحمد (٢٠٤٩٨)، الترمذي (٣٦٤٥) بسند حسن.

- وأما القدمان، فكان ﷺ ضخم القدمين، منهوس العقب.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان النبي ﷺ ضخم القدمين، حسن الوجه لم أر بعده مثله»(١).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يطأ بقدمه الأرض جميعًا، ليس فيها خمص، يقبل جميعًا، ويدبر جميعًا، لم أر مثله قبله، ولا بعده ﷺ»(٢).

أَخْمص: الأخمص من القدم، هو الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه، وفيه: «منهوس العقبين، قال: ما منهوس العقبين؟ قال: قليل لحم العقب»(٣).

وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ضخم الكراديس»(٤).

الكردوس: رأس العظام، وقيل: هي ملتقىٰ كل عظمين: كالركبتين، والمرفقين، والمنكبين.

- أما صفة الخاتم، فقد وردت فيه عدة أحاديث منها:

ما في الصحيحين، عن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «ذهبت بي خالتي إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ﷺ، إن ابن أختي وجع. فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلىٰ خاتمه بين كتفيه، مثل زر الحجلة»(٥).

الحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب، وتكون له أزرار كبار، وقيل: المراد بالحجلة، الطير، وهو اليعقوب، يقال للأنثىٰ منه: حجلة، وعلىٰ هذا فالمراد بزرها بيضتها.

---

(١) البخاري (٥٩١٢).

(٢، ٣، ٤) مضىٰ تخريجه.

(٥) البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٨).

ويؤيد ذلك حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أتيت رسول الله ﷺ، فألقىٰ إلي رداءه، وقال: «**يا سلمان، انظر إلىٰ ما أمرت به**». قال: فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمام»(١).

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام»(٢).

- وقيل: مثل قطعة اللحم المرتفعة عن الجسم.

- فعن أبي نضرة العوقي، قال: سألت أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن خاتم رسول الله ﷺ - يعني خاتم النبوة - فقال: «كان في ظهره بَضعة ناشزة»(٣).

- وقيل: كانت شعرات مجتمعات عند الكتف.

فعن أبي رِمْثة رفاعة بن يثربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا رمثة، ادن مني، امسح ظهري**». فدنوت، فمسحت ظهره، ثم وضعت أصابعي علىٰ الخاتم فغمزتها. قلنا له: وما الخاتم؟ قال: شعر مجتمع عند كتفيه(٤).

وعن أبي زيد عمرو بن أخطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقترب مني**» فاقتربت منه، فقال: «**أدخل يدك، فامسح ظهري**»، قال: فأدخلت يدي في قميصه، فمسحت ظهره، فوقع خاتم النبوة بين إصبعي، قال: فسئل عن خاتم النبوة. فقال: شعرات بين كتفيه(٥).

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري (٥١٢٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٦٥) بسند حسن.

(٢) أحمد (٢٠٣٢٣)، ومسلم (٢٣٤٧)، والترمذي (٣٦٤٤).

(٣) الشمائل للترمذي (٢٢)، والتاريخ الكبير للبخاري (١٧٧٥)، وتاريخ الطبري (٨٨٥)، والكنىٰ والأسماء للدولابي (٢٠٢٦)، بسند حسن.

(٤) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (١/ ٢٠٦)، بسند صحيح.

(٥) المسند (٢٢٣٨١)، وصحيح ابن حبان (٦٣٠٠)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٦٠٥)، والشمائل =

وعن عبد الله بن سرجس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ناس من أصحابه فدرت خلفه هكذا، فعرف الذي أريد، فألقىٰ الرداء عن ظهره، فرأيت موضع الخاتم علىٰ نغص كتفه مثل الجُمع حوله خيلان، كأنهما الثّآليل، فجئت حتىٰ استقبلته، فقلت له: غفر الله لك يا رسول الله ﷺ، قال: «**ولك**». قال بعض القوم: أستغفر لك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ولكم. ثم تلا: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]»[(١)].

الثآليل: جمع ثؤلول، وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها.

وعن عباد بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان يخدم النبي ﷺ، فخاطبه يهودي فسقط رداؤه عن منكبه، وكان رسول الله ﷺ يكره أن يرىٰ الخاتم، فسويته عليه، فقال: «**من فعل هذا؟**» قلت: أنا. قال: «**تحول إليَّ**». فجلست بين يديه، فوضع يده علىٰ رأسي فأَمرَّها علىٰ وجهي وصدري، وقال: «**إذا أتانا سبي، فأتني**». فأتيته، فأمر لي بجذعة، وكان الخاتم علىٰ طرف كتفه الأيسر كأنه ركبة عنز[(٢)].

ولله در حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث قال:

وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء[(٣)]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ؛ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ.

للترمذي (٢٠)، بسند صحيح.

(١) المسند (٢٠٢٥٣)، والكبرىٰ للنسائي (١١٤٣٢)، والشمائل للترمذي (٢٣)، بسند صحيح.

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٨٨٩)، والأحاديث المختارة للمقدسي (٢٧٣٢)، بسند حسن.

(٣) ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢١).

قلت: يؤيده قول عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وما كان أحد أحب من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت»(١).



باب صفة مشيه وجلوسه ﷺ

أما مشيه ﷺ، فأعدل المشي وأفضله:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «لم يكن رسول الله ﷺ، بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويل المسربة، إذا مشىٰ تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ»(٢).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ **في «شرح السنة»**: (إذا مشىٰ تكفأ تكفؤًا)، أي: تمايل إلىٰ قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها، و(الصبب): الحدور، وهو ما انحدر من الأرض، وجمعه أصباب، يريد: أنه كان يمشي مشيًا قويًا، يرفع رجليه من الأرض رفعًا بائنًا، لا كمن يمشي اختيالًا، ويقارب خطاه تنعمًا(٣).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان رسول الله ﷺ، أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشىٰ تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة، ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة؛ أطيب من رائحة رسول الله ﷺ»(٤).

- وأما جلوسه ﷺ، فكان جلوس المتخشع:

---

(١) مسلم (١٢٣).

(٢) المسند (٧٤٨)، والترمذي (٣٦٣٧)، بسند حسن.

(٣) شرح السنة للبغوي (٧/ ٤٢٥).

(٤) مسلم (٢٣٣٢).

عن قيلة بنت مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «رأيت النبي ﷺ وهو قاعد القرفصاء، فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة، أرعدت من الفرق»[(١)].

قال أبو عبيدة: القرفصاء: أن يقعد الرجل قعدة المحتبي، ثم يحتبي بيديه، يضعها على ساقيه، أي: يدير ذراعيه على ساقيه.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «رأيت رسول الله ﷺ، بفناء الكعبة محتبيًا، بيده هكذا»[(٢)]. في «سنن البيهقي»، قال: وشبك أبو حاتم الرازي بيديه.

عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه، حتى تطلع الشمس حسناء»[(٣)].

قلت: ويجوز القعود على أي هيئة من احتباء، وتربع، وافتراش، وتورك واستلقاء على القفا، وغير ذلك؛ إذا لم تنكشف العورة.

وقد ورد النهي عن جلسة معينة:

فعن الشريد بن سويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مر بي رسول الله ﷺ، وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على ألية يدي، فقال: **«أتقعد قعدة المغضوب عليهم»**[(٤)].

فهذه قعدة المغضوب عليهم، بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره، ويجعل بطن الكف على الأرض، ويتكئ عليها، فهذه مكروهة.

---

(١) أبو داود (٤٨٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٧٨)، بسند حسن.

(٢) البخاري (٦٢٧٢)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٣٥).

(٣) مسلم (٦٧٣)، وأبو داود (٤٨٥٠)، والترمذي (٥٨٥)، واللفظ لأبي داود.

(٤) المسند (١٨٩٥٩)، وأبو داود (٤٨٤٨)، والمستدرك للحاكم (٤/ ٢٦٤) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

باب صفة نومه ﷺ

المتأمل لصفة نوم النبي ﷺ يجد أنها أنفع الصفات وأكملها، فقد كان يتوضأ قبل النوم، وينام على شقه الأيمن، ويكثر من ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويجعل ذكره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آخر ما يتلفظ به؛ وهذا دليل على تعلق القلب بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فكان ﷺ إذا أراد النوم توضأ وضوء الصلاة، ونفض فراشه، ونام على شقه الأيمن، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ، قال: **«إذا أوىٰ أحدكم إلىٰ فراشه، فليأخذ داخلة إزاره، فلينفض بها فراشه وليسم؛ فإنه لا يعلم ما خلفه بعده علىٰ فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع علىٰ شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي، بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»** [(١)].

و**«داخلة إزاره»**: أي طرفه.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. واجعلهن من آخر كلامك؛ فإن مت من ليلتك مت وأنت علىٰ الفطرة»** [(٢)].

وفي رواية: «وإن أصبحت أصبت أجرًا» [(٣)].

قال أهل العلم: وفائدة النوم على اليمين: أنه أسرع إلىٰ الانتباه، وأن القلب متعلق

---

(١) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٦)، وأبو داود (٥٠٥٠)، والترمذي (٣٤٠١)، وابن ماجه (٣٨٧٤).

(٢) البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٢).

(٣) البخاري (٧٤٨٨)، ومسلم (٢٧١٣).

إلىٰ جهة اليمين فلا يثقل بالنوم، وأنه أصلح للبدن.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده، ثم يقول: «**اللهم باسمك أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان - يعني: النبي ﷺ - إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، وضع يده اليمنىٰ تحت خده، وقال: «**رب قني عذابك يوم تبعث - أو تجمع - عبادك**»(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ: «كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة؛ جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»(٣). النفث: التفل بلا ريق.

قلت: وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن التفل في اليد يكون قبل القراءة لا بعدها كما يظن البعض، فليُتنبه إلىٰ هذا.

وقد ورد في القراءة عند النوم عدة أحاديث صحيحة:

منها حديث أبي هريرة في قراءة آية الكرسي(٤)، وحديث أبي مسعود البدري في قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة(٥)، وحديث علي في التسبيح(٦)، وغير ذلك مما

---

(١) البخاري (٦٣١٤)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤٥١٦).

(٢) المسند (٢٢٧٣٢)، والترمذي (٣٣٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح. وهو كما قال، والبحر الزخار (٢٨٢٥)، والتوحيد لابن منده (٢١٩).

(٣) البخاري (٥٠١٨)، وأبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي (٣٤٠٢)، والشمائل له (٢٥٨).

(٤) البخاري (٣٢٧٥)، وشعب الإيمان للبيهقي (٢٣٨٥)، والحجة في بيان المحجة (٢٦٢).

(٥) البخاري (٥٠٤٠)، ومسلم (٨١١).

(٦) البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

ليس هذا موضعه، فليرجع إلىٰ كتب الأذكار، وليداوم المرء عليها؛ فإن المحب لا يترك شيئًا يفعله حبيبه إلا فعله.





باب كيفية كلامه ﷺ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

فكلامه ﷺ، لا يصدر عن هوًىٰ، وإنما يصدر عن وحي يوحىٰ، ولا يقول إلا حقًّا.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك، وقالوا: تكتب ورسول الله ﷺ يقول في الغضب والرضا! فأمسكت، حتىٰ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**اكتب فوالذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا حقٌّ**»[(١)].

- وكان كلامه ﷺ بيِّنٌ واضح يفهمه من يسمعه.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلامٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ يحفظه من جلس إليه»[(٢)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن النبي ﷺ كان يحدث حديثًا لو عدّه العادُّ لأحصاه».

وقال الليث في حديثه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: «ألا يعجبك أبو فلانٍ جاء فجلس إلىٰ جانب حجرتي، يحدث عن رسول الله ﷺ، يسمعني ذلك، وكنت أُسبحُ، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله ﷺ، لم يكن يسرد

---

(١) المسند (٦٧٦٣)، وأبو داود (٣٦٤٦)، والدارمي (٤٨٤)، بسند صحيح.

(٢) المسند (٢٤٥٥٥)، وأبو داود (٤٨٣٩)، والترمذي (٣٦٣٩)، بسند حسن.

الحديث كسردكم»[١].

قلت: بينت رواية مسلم أن أبا فلان هو أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث، ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة. وعائشة تصلي، فلما قضت صلاتها، قالت لعروة: «ألا تسمع إلىٰ هذا، ومقالته آنفًا! إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه»[٢].

- وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قليل الكلام، وإذا تكلم أفاد.

عن سماك بن حرب، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وكان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم، فيضحكون، وربما تبسم[٣].

قلت: كلما قل كلام المرء زادت هيبته، وكلما أكثر من الكلام ضاعت مكانته.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتىٰ تفهم عنه، وإذا أتىٰ علىٰ قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا[٤].

قلت: يحمل السلام ثلاثًا علىٰ أن لا يُسمع سلامه، فأما إذا سمع السلام ورد عليه فإنه لا يشرع له السلام مرة ثانية.

فكان كلامه ﷺ فصلًا فهمًا تفهمه القلوب، وتدركه العقول.

وفي الحديث الصحيح: «**أُعطيت جوامع الكلم**»[٥].

---

(١) البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٥).

(٢) مسلم (٣٠١٤).

(٣) المسند (٢٠٢٨٥)، والكبرىٰ للبيهقي (٧/ ٥١)، بسند حسن.

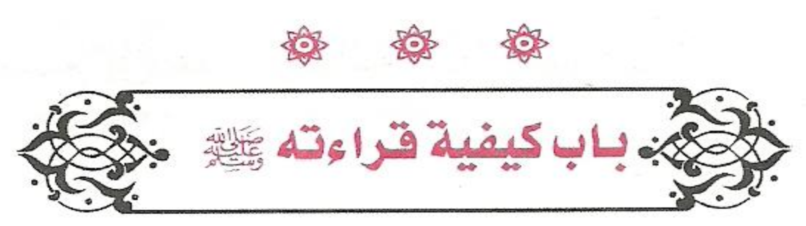
(٤) المسند (١٢٨٠٩)، والبخاري (٩٥)، والترمذي (٢٧٢٣).

(٥) البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو عبد الله البخاري: وبلغني أن جوامع الكلم، أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك.

قال الشيخ محمود شاكر رحمه الله تعالى: كان حديث رسول الله ﷺ هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال(١).

❁ ❁ ❁



باب كيفية قراءته ﷺ

كانت قراءة النبي ﷺ، للقرآن قراءة تدبر وتفهم واستنباط للمعاني، وبذلك أُمر عليه الصلاة والسلام، فقال تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وجماهير أهل العلم علىٰ الحث علىٰ قراءة القرآن بترتيل وتدبر، وإن قرأ بسرد دون تدبر جاز، لكن القراءة بالتدبر أعظم أجرًا.

وقال ربنا جل جلاله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أما قراءة من قرأ بالتخفيف؛ فمعناه: فصلناه من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا منجمًا علىٰ الوقائع إلىٰ رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، قاله عكرمة عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضًا أنه قرأ: ﴿فرّقناه﴾ بالتشديد، أي: أنزلناه آية آية مبينًا ومفسرًا، ولهذا قال: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم(٢).

---

(١) مقال المقتطف (عدد يوليو سنة ١٩٣٤، ص ١١٤، ١١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٣، ٩٤).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تَهُذُّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة»[(١)].

قال الخطابي: الهذُّ: سرعة القراءة، وإنما عاب عليه؛ لأنه إذا أسرع القرآن ولم يرتل؛ فاته فهم القرآن وإدراك معانيه.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأ بها**»[(٢)].

وصاحب القرآن: من يلازمه بالتلاوة والعمل، لا من يقرؤه ولا يعمل به.

عن يعلىٰ بن مملك، أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته، قالت: «ما لكم وصلاته؟!». ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءةً مفسرةً حرفًا حرفًا[(٣)].

وعن قتادة، قال: «سُئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مدًّا. ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾، يمد باسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[(٤)].

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقطع قراءته؛ يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾، ثم يقف، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾، ثم يقف»[(٥)].

عن عبد الله بن أبي قيس، قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كانت قراءة النبي ﷺ بالليل، أكان يسر بالقراءة أم يجهر؟ فقالت: «كُلُّ ذلكَ قد كان يفعلُ، ربَّما أَسَرَّ بالقراءة، وربَّما جهر»، فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[(٦)].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٢١٥).

(٢) أحمد (٦٧٦٠)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) وقال: حديث حسن صحيح. وهو كما قال.

(٣) النسائي في الصغرىٰ (١٠٢٢)، والترمذي في الشمائل (٣١٥)، بسند حسن.

(٤) أحمد (١١٨٧٤)، والبخاري (٥٠٤٦)، وأبو داود (١٤٦٥)، وابن ماجه (١٣٥٣).

(٥) أحمد (٢٦٠٤٢)، والترمذي (٢٩٢٧)، بسند صحيح.

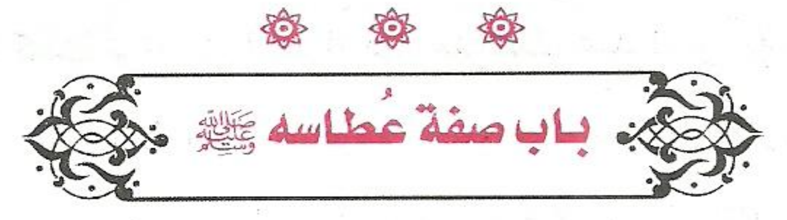
(٦) الترمذي (٤٤٩)، وابن ماجه (١٣٥٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وهو كما قال.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قام النبي ﷺ بآيةٍ من القرآن ليلةً»[(١)].

قلت: وهذا يؤكد أن العبرة ليست بكثرة القراءة، إنما العبرة بما أثر في القلب وظهر أثره على الإنسان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قِراءة سُورة بتدبّر ومَعرفة وتَفهُّم، ومَجمع القلب عليها؛ أحبّ إلىٰ الله تعالىٰ من قِراءة خَتمة سَردًا وهذًّا، وإن كثر ثواب هذه القراءة[(٢)].

❁ ❁ ❁



باب صفة عُطاسه ﷺ

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه علىٰ فيه، وخفض - أو غض - بها صوته[(٣)] شك يحيىٰ.

قلت: لا يخفىٰ من الحديث مدىٰ وفور أدبه ﷺ، وحفاظه علىٰ جلسائه.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله. وليقل له أخوه، أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال له: يرحمك الله. فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[(٤)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله، فحق علىٰ كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان؛ فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها. ضحك منه الشيطان**»[(٥)].

---

(١) الترمذي (٤٤٨) بسند صحيح.

(٢) المنار المنيف لابن القيم (١١).

(٣) أبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥)، وقال حسن صحيح. والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٨) وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

(٤) أحمد (٨٤١٧)، والبخاري (٦٢٢٤)، وأبو داود (٥٠٣٣).

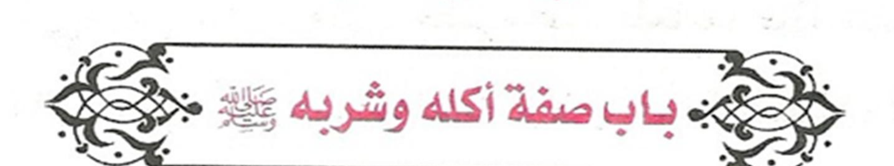
(٥) أحمد (٩٢٤٦)، والبخاري (٦٢٢٣)، وأبو داود (٥٠٢٨)، والترمذي (٢٧٤٦).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: عطس عند النبي ﷺ رجلان، فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقال الذي لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست أنا فلم تشمتني؟! فقال: «إن هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله»(١).

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه»(٢).

عن نافع، أن رجلًا عطس إلىٰ جنب ابن عمر، فقال: الحمد لله والسلام علىٰ رسول الله. فقال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام علىٰ رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ؛ علمنا أن نقول: «الحمد لله علىٰ كل حال»(٣).

❁ ❁ ❁



باب صفة أكله وشربه ﷺ

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢، ٣٣].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: «كلوا واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير مخيلة، ولا سرف؛ إن الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده»(٤).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ

---

(١) البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩٤)، وأبو داود (٥٠٣٩)، وابن ماجه (٣٧١٣).

(٢) المسند (١٩١٩٦)، ومسلم (٢٩٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦١).

(٣) الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦١)، بسند حسن.

(٤) المسند (٦٦٦٩)، والمستدرك للحاكم (٤/ ١٣٠)، بسند حسن.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨].

وفي حديث الرهط الثلاثة، قال: «**أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم، وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١].

- وكان أكل وشرب النبي ﷺ علىٰ أتم وجه، وأحسن حال.

عن كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «**كان النبي ﷺ يأكل بثلاثة أصابع، ولا يمسح يده حتىٰ يلعقها**»[٢].

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتىٰ يحضره عند طعامه؛ فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذىٰ، ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ، فليلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة**»[٣].

قلت: وهذه سنة مهجورة في ديار المسلمين، بل واجبة لأمره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. يمسح أحدهم يده بالمنديل أو غيره، ولا يلعق أصابعه استقذارًا وتأففًا، يضرب بذلك سنة النبي ﷺ، متبعًا سنة الكفار، فأين نحن - معاشر المسلمين - من سنة النبي ﷺ ؟!

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إذا أكل أحدكم، فليلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أيتهن البركة**»[٤].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**البركة تنزل وسط الطعام؛ فكلوا من**

---

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠٢).

(٢) المسند (٢٦٦٢٥)، ومسلم (٢٠٣٣)، والمستدرك للحاكم (٤/ ١١٢).

(٣) مسلم (٢٠٣٦)، وابن ماجه (٣٢٧٠)، وصحيح ابن حبان (٥٢٥٣).

(٤) المسند (٨٢٩٤)، ومسلم (٢٠٣٨)، والترمذي (١٨٠١).

حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»[١].

- وكان لا يأكل متكئًا وينهىٰ عن ذلك ﷺ.

عن أبي جحيفة - وهب بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا آكل متكئًا**»[٢].

وفي رواية أخرىٰ، عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال لرجل عنده: «**لا آكل وأنا متكئ**»[٣].

ومعنىٰ: «**لا آكل متكئًا**»: أي جالسًا علىٰ هيئة المتمكن المتربع، ونحوها من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه للأكل مُقْعيًا متسوفزًا، غير متربع ولا متمكن.

والعلة في كراهية الأكل متكئًا: لأنه فعل الملوك الجبابرة، والأعاجم، ولأنه مدعاة لكثرة الأكل، ومنافٍ للتواضع.

فعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أهديت للنبي ﷺ شاة، فجثا رسول الله ﷺ علىٰ ركبتيه يأكل، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: «**إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا**»[٤].

جثا: جلس علىٰ ركبتيه، أو قام علىٰ أطراف أصابعه.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رأيت النبي ﷺ مقعيًا يأكل تمرًا[٥].

---

(١) أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥)، وابن ماجه (٣٢٧٧)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو كما قال.

(٢) البخاري (٥٣٩٨)، وأبو داود (٣٧٦٩)، والترمذي (١٨٣٠)، وابن ماجه (٣٢٦٢).

(٣) البخاري (٥٣٩٩).

(٤) أبو داود (٣٧٧٣)، وابن ماجه (٣٢٦٣)، بسند حسن.

(٥) مسلم (٢٠٤٥)، وأبو داود (٣٧٧١)، والبيهقي في الكبرىٰ (٧/ ٢٨٢).

المقعي: يجلس على وركيه مستوفزًا غير متمكن.

- وقد صح عنه ﷺ الشرب قاعدًا، وقائمًا، وإن كان الأفضل أن يشرب الإنسان قاعدًا، وإن احتاج إلى الشرب والأكل واقفًا فلا حرج.

- **عن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة، حتى حضرت صلاة العصر، ثم أُتي بماء فشرب، وغسل وجهه ويديه، وذكر رأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناسًا يكرهون الشرب قيامًا، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت(١).

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم»(٢).

وعن ميسرة بن يعقوب، قال: رأيت عليًا رضي الله عنه يشرب قائمًا، قال: فقلت له: تشرب قائمًا؟! فقال: إن أشرب قائمًا، فقد رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا، وإن أشرب قاعدًا، فقد رأيت رسول الله ﷺ يشرب قاعدًا(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يشرب الرجل قائمًا. قال قتادة: فقلنا: فالأكل؟ فقال: ذاك أشر، أو أخبث(٤).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب قائمًا(٥).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: «رأيت رسول الله ﷺ، يصلي ينفتل عن يمينه وعن شماله، ورأيته يصلي حافيًا ومتنعلًا، ورأيته يشرب قائمًا وقاعدًا»(٦).

---

(١) البخاري (٥٦١٦)، وأبو داود (٣٧١٨).

(٢) البخاري (٥٦١٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٣) المسند (٧٩٧) بسند حسن.

(٤) أحمد (١٢٤٦٠)، ومسلم (٢٠٢٦)، وأبو داود (٣٧١٧)، والترمذي (١٨٧٩).

(٥) أحمد (١١١٩٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٦) المسند (٦٥٩٠) بسند حسن.

- وكان ﷺ يشرب على ثلاث مرات، يتنفس خارج الإناء.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثًا، ويقول: «**إنه أروىٰ وأبرأ وأمرأ**»(١).

وقد جاء في بعض الروايات: كان يتنفس في الإناء مرتين أو ثلاثًا.

فيحتمل أن تكون (أو) للتنويع وأنه كان لا يقتصر على المرة، بل إن روي من نفسين اكتفىٰ بهما، وإلا فثلاث.

ويحتمل أن تكون (أو) للشك: فقد جاء من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ووكيع، ويحيىٰ بن سعيد عن عزرة بلفظ: «كان يتنفس ثلاثًا» ولم يقولوا (أو).

وأخرج الترمذي بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه: «**لا تشربوا واحدة كما يشرب البعير، ولكن اشربوا مثنىٰ وثلاث**»، فإن كان محفوظًا فهو يُقوِّي ما تقدم من التنويع.

وأخرج أيضًا بسند ضعيف عن ابن عباس أيضًا: «أن النبي ﷺ كان إذا شرب تنفس مرتين»، وهذا ليس نصًّا في الاقتصار على المرتين، بل يحتمل أن يراد به التنفس في أثناء الشرب، فيكون قد شرب ثلاث مرات، وسكت على التنفس الأخير لكونه من ضرورة الواقع.

وأخرج مسلم وأصحاب السنن من طريق أبي عاصم عن أنس: أن النبي ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثًا، ويقول: «**هو أروىٰ وأمرأ وأبرأ**» لفظ مسلم.

قلت: أما حديث: «**لا تشربوا واحدًا كما يشرب البعير**»؟ فقد أخرجه الترمذي (١٨٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١١٣٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٠١٥).

وفيه يزيد بن سنان الجزري أبو فروة الرهاوي، ضعفه أحمد، والنسائي، والدارقطني، وشيخه مجهول.

---

(١) أحمد (١٢٧٩٥)، ومسلم (٢٠٢٩)، وأبو داود (٣٧٢٧)، والترمذي (١٨٨٤).

وحديث: «إذا شرب تنفس مرتين» أخرجه أحمد في المسند (٢٥٧٣)، والترمذي (١٨٨٦)، وابن ماجه (٣٤١٧) وفيه رشدين بن كريب، ضعفه أبو حاتم الرازي، والنسائي.

وقال أحمد، وأبو زرعة، والبخاري: منكر الحديث.

وعن المثنىٰ الجهني، قال: كنت جالسًا عند مروان بن الحكم، فدخل أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له مروان: أسمعت رسول الله ﷺ نهىٰ عن النفخ في الشراب؟ فقال له أبو سعيد: نعم. فقال له رجل: يا رسول الله، إني لا أروىٰ من نفس واحد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**فأَبِن القدح عن فيك، ثم تنفس**». قال: فإني أرىٰ القذاة فيه. قال: «**فأهرقها**»[(١)].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٣٨٥): وفيه جواز الشرب بنفس واحد؛ لأن النبي ﷺ لم ينكر علىٰ الرجل حين قال: إني لا أروىٰ من نفس واحد. فلو كان الشرب بنفس واحد لا يجوز؛ لبينه ﷺ له، ولقال له مثلًا: وهل يجوز الشرب من نفس واحد؟! وكان هذا أولىٰ من القول له: «**فأبن القدح...**»؛ لو لم يكن ذلك جائزًا.

فدل قوله هذا علىٰ جواز الشرب بنفس واحد، وأنه إذا أراد أن يتنفس، تنفس خارج الإناء، وهذا ما صرح به حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، فإذا أراد أن يعود، فلينحِ، ثم ليعد إن كان يريد**»[(٢)].

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٩٥): واستدل به - أي بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

---

(١) مالك في الموطأ (١٨/ ١٧) برواية يحيىٰ الليثي، والمسند (١٠٨٨٦)، والترمذي (١٨٨٧)، وصحيح ابن حبان (٥٣٢٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٦) وصححه ووافقه الذهبي. قلت: كيف وأبو المثنىٰ الجهني وثقه يحيىٰ والنسائي، وقال علي بن المديني: مجهول، وقال الحافظ في التقريب: مقبول. فالأعدل أن يكون حسن الحديث، فالحديث حسن إن شاء الله تعالىٰ.

(٢) ابن ماجه (٣٤٢٧)، ومسند أبي يعلىٰ (٦٦٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٥) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

لمالك على جواز الشرب بنفس واحد، وأخرج ابن أبي شيبة الجواز عن سعيد بن المسيب وطائفة، وقال عمر بن عبد العزيز: إنما نهي عن التنفس داخل الإناء، فأما من لم يتنفس، فإن شاء فليشرب بنفس واحد.

قلت - الحافظ -: وهو تفصيل حسن.

قلت: فالشرب بنفس واحد جائز، وبثلاثة أنفاس أفضل، لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم: أن النبي ﷺ كان إذا شرب تنفس ثلاثًا، وقال: «**هو أهنأ وأمرأ وأبرأ**» رواه مسلم.

ولحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان يشرب في ثلاثة أنفاس، إذا أدنى الإناء إلى فيه سمَّى الله، فإذا أخّره حمد الله، يفعل ذلك ثلاث مرات[(١)].

- وكان ﷺ ينهى عن الأكل والشرب بالشمال.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يأكلن أحد منكم بشماله ولا يشربن بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها**»[(٢)].

وعن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[(٣)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله؛ فليقل: باسم الله أوله وآخره**»[(٤)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه؛ قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا**

---

(١) شكر الله على النعمة للخرائطي (٢٤)، والطبراني في الأوسط (٨٤٠)، وأخلاق النبي لأبي الشيخ (١/ ١٩٠)، بسند حسن.

(٢) أحمد (٥٤٩٠)، ومسلم (٢٠٢٢)، وأبو داود (٣٧٧٦)، والترمذي (١٨٠٠).

(٣) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٣).

(٤) أحمد (٢٥٢٠٤)، وأبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، وهو صحيح بالشواهد.

عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله تعالىٰ عند دخوله؛ قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله تعالىٰ عند طعامه؛ قال: أدركتم المبيت والعشاء»[(١)].

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ: كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفيٍّ، ولا مودع، ولا مستغنًىٰ عنه ربنا»[(٢)]. أي: لا نستغني عن الله عَزَّوَجَلَّ، ولا أحد يكفينا دونه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو رازقنا عَزَّوَجَلَّ.

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٣)].

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ جاء إلىٰ سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت، فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»[(٤)].

وفي حديث المقداد بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني»[(٥)].

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ، إذا أكل أو شرب، قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقىٰ، وسوّغه، وجعل له مخرجًا»[(٦)].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضىٰ عن العبد؛ أن

---

(١) مسلم (٢٠٢٠)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

(٢) البخاري (٥٤٥٨)، وأبو داود (٣٨٤٩)، والترمذي (٣٤٥٦)، وابن ماجه (٣٢٨٩).

(٣) أحمد (١٥٢٠٥)، وأبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، بسند حسن، دون لفظة «وما تأخر» فهي منكرة.

(٤) أبو داود (٣٨٥٤)، والبيهقي في الكبرىٰ (٤/ ٢٣٩)، والمختارة للمقدسي (١٦٢٧)، وهو صحيح.

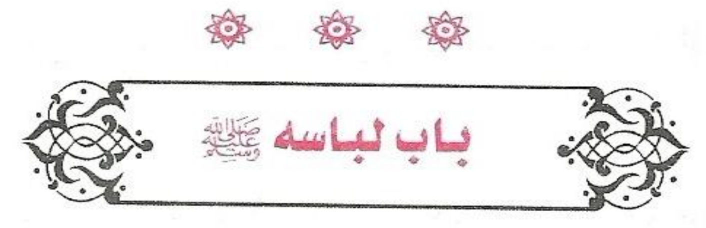
(٥) المسند (٢٣٣٠٥)، ومسلم (٢٠٥٧)، ومستخرج أبي عوانة (٨٦٩٧).

(٦) أبو داود (٣٨٥١)، والنسائي في الكبرىٰ (٦٨٦٧)، وصحيح ابن حبان (٥٢٢٠)، وهو صحيح.

يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[(١)].

قلت: فالسنة أن تعمل بكل ما صح عن النبي ﷺ؛ بأن تنوع بين هذه الأذكار؛ تذكر هذا مرة، وهذا مرة؛ وذلك لكيلا يسأم الإنسان ولا يمل، ولحفظ السنة، ونشرها، وللعمل بكل ما ورد، والله الهادي لسبل الرشاد.

❀ ❀ ❀



باب لباسه ﷺ

واللباس: يشمل ما يلبس علىٰ البدن جميعًا، وما يكون علىٰ جزء من البدن كالعمائم، ويعم أيضًا الأحذية والخواتيم والحُلي، فيقال: لبس القميص، ويقال: لبس الخاتم، ويقال: لبس الخف أو النعل؛ فالجميع من اللباس.

- وكان أحبُّ الثياب إلىٰ النبي ﷺ القميص:

فعن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «كان أحب الثياب إلىٰ رسول الله ﷺ القميصُ»[(٢)]. صحيح.

وكان أحبُ الألوان إليه البياض، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«البسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفِّنُوا فيها موتاكم، وإنَّ خير أكحالكم الإثمد؛ يجلو البصر، ويُنْبِتُ الشعر»**[(٣)]. صحيح.

وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«البسوا البياض؛ فإنها أطهرُ، وأطيبُ، وكفنوا فيها موتاكم»**[(٤)]. صحيح.

---

(١) أحمد (١١٧٥٨)، ومسلم (٢٧٣٥)، والترمذي (١٨١٦).

(٢) أحمد (٦١٥٤)، وأبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢)، وهو صحيح.

(٣) أحمد (٢٢٢٠)، وأبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وقال: حسن صحيح. وهو كما قال.

(٤) أحمد (١٩٥٩٨)، والترمذي (٢٨١٠)، وقال: حسن صحيح. وهو كما قال.

- وكذلك كان أحب اللباس إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الحِبَرَة:

فعن قتادة، عن أنسٍ، قال: قلت له: أيُّ الثيابِ كان أحب إلىٰ النبي ﷺ أن يلبسها؟ قال: الحِبْرَةُ[1].

قلت: وجواب أنس لسؤال قتادة تضمن السلامة من تدليس قتادة.

والحِبَرَةُ: بُردٌ يماني، من كتان أو قطن، مُزينةٌ؛ لأن التحبير: التزين والتحسن.

ولبس الجُبَّة:

كما في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فقال: «**يا مغيرة خُذِ الإداوة**»، فأخذتها، فانطلق رسول الله ﷺ، حتىٰ توارىٰ عنِّي، فقضىٰ حاجته، وعليه جُبَّةٌ شاميَّةٌ، فذهب ليُخرج يده من كمها فضاقت؛ فأخرج يده من أسفلها فصببتُ عليه، فتوضأ وضوءه للصلاة ومسح علىٰ خفيه ثم صلىٰ[2].

الجُبَّة: ضرب من مقطعات الثياب تلبس. والجبة: من أسماء الدرع. وجبة الرمح: ما دخل فيه من السهام.

ولبس البرد الأخضر:

فعن أبي رمثة رفاعة بن يثربي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ وعليه بُرْدَان أخْضَران»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والبُرد الأخضر: هو الذي فيه خطوط خضر، وليس الأخضر البحت).

ولبس الصوف:

فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «خرج النبي ﷺ ذات غداةٍ، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من

---

(١) أحمد (١١٩٦٩)، والبخاري (٥٨١٢)، ومسلم (٢٠٨٠).

(٢) البخاري (٣٦٣)، ومسلم (٢٧٤).

(٣) أحمد (٧٠٧٧)، وأبو داود (٤٠٦٥)، والترمذي (٢٨١٢)، والنسائي في الصغرىٰ (١٥٧٢)، بسند صحيح.

شعرٍ أسود»[١].

المِرط: كساء يكون تارة من صوف؛ وتارة من كتان، وتارة من قطن، وتارة من خز.

المُرَحَّلُ: الذي فيه خطوط.

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «صنعت لرسول الله ﷺ بُرْدَةً سوداء، فلبسها، فلمَّا عرق فيها وجد ريح الصُّوفِ؛ فقذفها»، قال: وأحسبُهُ قال: وكان تُعْجبُهُ الريح الطيبة[٢].

وكان رسول الله ﷺ إذا لبس ثوبًا جديدًا دعا:

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سماهُ باسمه، عمامةً أو قميصًا أو رداءً، ثم يقولُ: «**اللهم لك الحمدُ كما كسوتنيهِ، أسألك خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنع له**»[٣].

وكان ﷺ إذا رأىٰ أحدًا يرتدي ثوبًا جديدًا دعا له:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ رأىٰ علىٰ عُمر قميصًا أبيضَ، فقال: «**ثوبُك هذا غسيلٌ أم جديدٌ؟**»، فقال: بل جديدٌ. فقال النبي ﷺ: «**البسْ جديدًا، وعِشْ حميدًا، ومتْ شهيدًا**»[٤].

وكان ﷺ، إذا لبس قميصه، بدأ بميامِنِهِ:

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي ﷺ يُعْجِبُهُ التيمن في تنعُّله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله»[٥].

---

(١) أحمد (٢٤٧٦٦)، ومسلم (٢٠٨٣).

(٢) أحمد (٢٤٤٨١)، وأبو داود (٤٠٧٤)، بسند صحيح.

(٣) أحمد (١٠٨٥٥)، وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، بسند صحيح.

(٤) ابن ماجه (٣٥٥٨) بسند حسن.

(٥) البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٧١).

ولبس السراويل:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**من لم يجد إزارًا فَلْيَلْبِسْ سراويل، ومن لم يجد نعلين فليلبس خفين**»[(١)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قام رجلٌ، فقال: يا رسول الله، ما تأمرنا أن نلبس إذا أحرمنا؟

قال: «**لا تلبسوا القميص والسراويل والعمائم والبرانس والخفاف، إلا أن يكون رجلٌ ليس له نعلان؛ فليلبس الخفين أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا شيئًا من الثياب مسَّه زعفران ولا ورس**»[(٢)].

وعن سويد بن قيس الذهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جلبتُ أنا ومخرمة العبديُّ من هجر إلىٰ مكة، فأتانا رسول الله ﷺ، فاشترىٰ سراويل، وثَمَّ وزَّانٌ يزنُ بالأجرِ، فقال: «**إذا وزنت؛ فأَرْجِحْ**»[(٣)].

والبُرنُس: قلنسوة رأسها ملتزق بها، مشتهرة عند المغاربة.

- ولبس الحُلة الحمراء: وهي بردان يمانيان منسوجان بخطوط حُمر مع الأسود.

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ مربوعًا، وقد رأيته في حُلَّةٍ حمراء، ما رأيت شيئًا أحسن منه[(٤)].

- أما الأحمر البحت، فقد نهىٰ عنه أشد النهي.

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء

---

(١) البخاري (٥٨٠٤)، ومسلم (١١٨٠).

(٢) البخاري (٥٨٠٥)، ومسلم (١١٧٨).

(٣) المسند (١٨٦١٨)، وأبو داود (٣٣٣٦)، والترمذي (١٣٠٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وهو كما قال.

(٤) البخاري (٥٨٤٨)، ومسلم (٢٣٣٨).

السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المُقْسم. ونهانا عن: خواتيم الذهب، وعن الشرب في الفضة - أو قال: - آنية - الفضة، وعن المياثر والقسي، وعن لُبْس الحرير والدِّيباج والإستبرق[١].

المياثر الحمر التي جاء النهي عنها كانت من مراكب العجم من ديباج وحرير، وتقيدها بالأحمر أخص من مطلق الحرير، فإن كانت مع الحرير فيمتنع، ويتأكد المنع إن كانت مع ذلك حمراء - وإن كانت من غير الحرير -؛ فالنهي فيها للزجر عن التشبه بالأعاجم.

والمياثر: جمع مئْثرة.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من ثنيَّة أَذاخِر، فالتفت إليّ وعليَّ ريْطَةٌ مُضَرجةٌ بالعُصْفُر، فقال: «ما هذه؟» فعرفتُ ما كره، فأتيت أهلي يسجرون تَنَّورهم فقذفتُها فيه، ثم أَتيته من الغد، فقال: «**يا عبد الله، ما فعلتِ الريطةُ؟**» فأخبرته؛ فقال: «**ألا كسوتها بعض أهلك؛ فإنه لا بأس بذلك للنساء**»[٢].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأىٰ رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعصْفرين؛ فقال: «**إنَّ هذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسْها**»[٣].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهاني النبي ﷺ عن القراءةِ وأنا راكع، وعن لُبْسِ الذَّهَبِ والمُعَصْفَرِ[٤].

العصفر: زهر القرطم، ولونه يشبه الزعفران، وليس له رائحة.

ونهىٰ النبي ﷺ عن لبس الحرير، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) المسند (١٨٠٣٤)، والبخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٢) المسند (٦٨١٣)، وأبو داود (٤٠٦٦)، وابن ماجه (٣٦٠٣) بسند حسن.

(٣) المسند (٦٨٩٢)، ومسلم (٢٠٧٨).

(٤) مسلم (٢٠٧٩)، وأبو داود (٤٠٤٤)، والنسائي (٥١٧٤).

«من لبس الحرير في الدنيا؛ لم يلبسه في الآخرة»[(١)].

وهو حلال للنساءِ، حرام على الرجالِ؛ لحديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُحِلَّ الذَّهبُ والحريرُ للإناثِ من أُمَّتي، وحُرِّمَ على ذُكُورِهَا»[(٢)].

ويُرَخَّصُ في الحرير لمن كان به وجع من حكَّةٍ وغيرها.

كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ رخَّصَ لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوَّام في القُمُصِ الحرير في السفر من حكة كانت بهما أو من وجع كان بهما[(٣)].

وكذلك لا يجوز الجلوس على الحرير والديباج.

فعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لُبْسِ الحرير والديباج وأن نجلس عليه[(٤)].

ورخص في لبس قدر إصبعين أو ثلاث أو أربع من الحرير في الثوب.

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نهى نبيُّ الله ﷺ عن لُبْسِ الحرير إلا موضع إصبعين أو ثلاث أو أربع[(٥)].

وموضع هذه الأربعة أصابع يكون في أطراف الثياب، مثل: الجبة، أو عند الرقبة، أو في الفتحات. ويقال لها: الفروج. بقدر أربعة أصابع.



---

(١) البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩).

(٢) المسند (١٩١٤٦)، والترمذي (١٧٢٠)، وقال: حسن صحيح. وهو كما قال.

(٣) البخاري (٢٩١٩)، ومسلم (٢٠٧٧).

(٤) البخاري (٥٨٣٧).

(٥) البخاري (٥٨٢٨)، ومسلم (٢٠٧١) واللفظ له.

فصل في عمامة النبي ﷺ

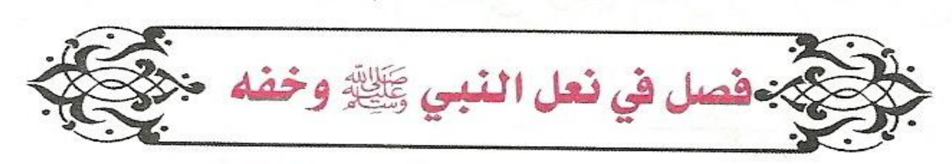
عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح مكة، وعليه عمامة سوداء[١].

وعن عمرو بن حُريث القرشي رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ المنبر، وعليه عمامة سوداء، قد أرخىٰ طرفيها بين كتفيه[٢].

وتسمىٰ العمامة بالخمار.

فعن بلال رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يمسح علىٰ الخمار والخفين[٣].

❁ ❁ ❁



فصل في نعل النبي ﷺ وخفه

عن أنس رضي الله عنه قال: كان لنعل النبي ﷺ قبالان[٤].

القبال: زِمام النَّعْل، وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.

عن عبيد بن جُريح قال: قيل لابن عمر: رأيناك تفعل شيئًا لم نر أحدًا يفعله غيرك. قال: وما هو؟ قالوا: رأيناك تلبس هذه النعال السبتية. قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يلبسُها ويتوضأ فيها ويمسحُ عليها[٥].

السِّبْتُ: جلود البقر المدبوغة بالقَرَظِ. وسميت بذلك؛ لأن شعرها قد سُبِتَ عنها، أي: حُلِقَ وأُزِيل.

---

(١) مسلم (١٣٦٠)، وأبو داود (٤٠٧٦)، والترمذي (١٧٣٥).

(٢) مسلم (١٣٦١)، وأبو داود (٤٠٧٧)، والنسائي في الصغرىٰ (٥٣٤٣).

(٣) مسلم (٢٧٨)، وأبو داود (١٥٣)، والترمذي (١٠١).

(٤) البخاري (٥٨٥٧)، وأبو داود (٤١٣٤)، والترمذي (١٧٧٢).

(٥) النسائي في الصغرىٰ (١١٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٠١) بإسناد صحيح.

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النجاشي أهدىٰ إلىٰ النبيِّ ﷺ خُفين أسودين ساذجين؛ فَلبسَهُما، ثم توضأَ ومسح عليهما[١].

الساذج: الذي لا نقش فيه.

وكان إذا لبس نعليه أو خفيه؛ بدأ باليمين:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يُعْجبه التيمن في تنعُّله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انتعل أحدكم، فليبدأ باليمين؛ وإذا نزع فليبدأ بالشمال؛ لتكن اليُمنىٰ أولهما تُنْعَلُ وآخرهما تُنْزَعُ**»[٣].





فصل في خاتمه ﷺ

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أراد النبي ﷺ أن يكتبَ إلىٰ الروم؛ قالوا: إنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا. فاتَّخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضةٍ، كأني أنظر إلىٰ وبيصه، ونَقْشُهُ: محمدٌ رسول الله[٤].

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ورقٍ وكان في يده، ثم كان بعدُ في يد أبي بكر، ثم كان بعدُ في يد عمر، ثم كان بعدُ في يد عثمان، حتىٰ وقع في بئر أريس، نقشه محمدٌ رسول الله[٥].

---

(١) المسند (٢٢٤٧١)، وأبو داود (١٥٥)، والترمذي (٢٨٢٠)، وقال: حديث حسن.

(٢) البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٧١).

(٣) البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٩).

(٤) البخاري (٧١٦٢)، ومسلم (٢٠٩٣).

(٥) البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٠٩٢).

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضةٍ في يمينه، فيه فصٌّ حبشي، كان يجعل فصه مما يلي كَفَّه[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان خاتم النبي ﷺ في هذه. وأشار إلىٰ الخنْصر من يده اليُسرىٰ[(٢)].

قلت: فدل ذلك علىٰ ثبوت الاثنين جميعًا؛ فله أن يلبسه في اليمنىٰ أو اليسرىٰ.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في إصبعي هذه أو هذه. قال: فأَوْمأ إلىٰ الوسطىٰ والتي تليها[(٣)].

وأما خاتم الذهب، فحرام علىٰ الرجال، حلال للنساء، نقل الإجماع علىٰ ذلك ابن عبد البر والنووي رحمهما الله.





باب مزاحه ﷺ وضحكه

ما ترك النبي ﷺ شيئًا إلا ودل الأمة عليه، وهذا من تمام نصحه ﷺ، حتىٰ المزاح؛ فقد كان يأسر النفوس بلطيف معشره وجميل مداعبته، مع ضبط النفس والحفاظ علىٰ هيبتها؛ لأن المرء إذا أكثر من الضحك والمزاح، تعرض قلبه للقسوة، وهيبته للسقوط، والإنسان حريص علىٰ وقته وعمره؛ إذ لا يضيعه إلا في مراضي الله عَزَّ وَجَلَّ وإن كان في المزاح والضحك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولقد كان النبي ﷺ يمازح أصحابه، ولا يقول إلا حقًّا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) مسلم (٢٠٧٨).

(٢) مسلم (٢٠٩٦).

(٣) مسلم (٢٠٩٧)، والنسائي في الصغرىٰ (٥٢٨٧).

عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**». قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله! فقال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**»(١).

وبعض الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - يستهويه الشيطان في المزاح؛ فيكذب؛ ليضحك الناس، فهذا جزاؤه ويل وادٍ في جهنم، أو هلاك عظيم، فعن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ويل للذي يحدث بالحديث؛ ليضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له**»(٢).

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «**تقدموا**». فتقدموا، ثم قال لي: «**تعالي حتىٰ أسابقك**». فسابقته فسبقته، فسكت عني، حتىٰ إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**». فتقدموا، ثم قال: «**تعالي حتىٰ أسابقك**». فسابقته فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: «**هذه بتلك**»(٣).

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استأذن أبو بكر علىٰ النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عاليًا، فلما دخل؛ تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك علىٰ رسول الله ﷺ! فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبًا، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «**كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟!**» قال: فمكث أبو بكر أيامًا، ثم استأذن علىٰ رسول الله ﷺ، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي ﷺ: «**قد فعلنا، قد فعلنا**»(٤).

---

(١) المسند (٨٢٧٦)، والترمذي (١٩٩٠)، وقال: حديث حسن. وهو كما قال.

(٢) المسند (١٩٥١٨)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، وقال: حديث حسن. وهو كما قال.

(٣) المسند (٢٣٥٩٧)، وأبو داود (٢٥٧٨) بسند صحيح.

(٤) المسند (١٧٩٢٧)، وأبو داود (٤٩٩٩) بسند صحيح.

وكذلك كان يمازح ويضاحك الصغار، فعن محمود بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين من دلو[(١)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، ولي أخ صغير يكنىٰ: أبا عمير. وكان له نغر يلعب به فمات، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم، فرآه حزينًا، فقال: «**ما شأنه؟**» قالوا: مات نغره. فقال: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**»[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال له: «**يا ذا الأذنين**»[(٣)].

قال محمود بن غيلان: قال أبو أسامة - حماد بن أسامة -: يعني: مازحه.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا حاملوك علىٰ ولد ناقة**». قال: يا رسول الله، ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»[(٤)].

وأما ضحكه ﷺ فكان تبسمًا:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتىٰ أرىٰ منه لهواته، إنما كان يتبسم[(٥)].

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة، وكان لا يضحك إلا تبسمًا، وكنت إذا نظرت إليه؛ قلت: أكحل العينين؛ وليس بأكحل[(٦)].

قلت: والتبسم هو أقل درجات الضحك، ويكون بلا صوت، وإن كان بصوت

---

(١) المسند (٢٣١٠٨)، والبخاري (٧٧)، وابن ماجه (٦٦٠).

(٢) البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٣)، وأبو داود (٤٩٦٩)، والترمذي (٣٣٣).

(٣) المسند (١١٧٥٤)، وأبو داود (٥٠٠٢)، والترمذي (١٩٩٢) بسند حسن.

(٤) المسند (١٣٤٠٥)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) البخاري (٦٠٩٢).

(٦) المسند (٢٠٤١٠)، والترمذي (٣٦٤٥) بسند حسن.

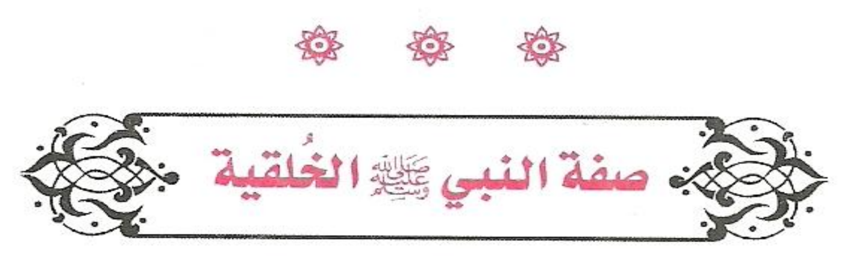
فهو الضحك؛ وإن كان بصوت يسمعه القريب والبعيد فهو القهقهة، وأعدل الأمور ما كان يفعله رسول الله ﷺ.

والضحك المذموم هو المستغرق لجميع الوقت، أما الضحك الذي هو على صورة التبسم، فهذا محمود.

عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ، قال: نعم، وكان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم؛ فيضحكون، وربما تبسم[(١)].

وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما استأذن على رسول الله ﷺ وعنده نسوة عالية أصواتهن، فلما سمعن صوت عمر؛ ابتدرن الحجاب؛ فضحك رسول الله ﷺ. الحديث[(٢)].

❁ ❁ ❁



صفة النبي ﷺ الخُلقية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

عن سعد بن هشام قال: «قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[(٣)].

عن أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن

---

(١) المسند (٢٠٢٨٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٧/ ١٥) بسند حسن.

(٢) البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٣) مسلم (٧٤٧) بطوله.

يعفو ويصفح»[١].

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف. قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًّا قط ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبي ﷺ[٢].

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتىٰ نظرت إلىٰ صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء[٣].

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا[٤].

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله، لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتىٰ أمر علىٰ صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «**يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟**» قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله[٥].

عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابرًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: ما سئل النبي ﷺ عن

---

(١) المسند (٢٥٥٥٩)، الترمذي (٢٠١٦)، وقال: حديث حسن صحيح. والشمائل له (٣٤٨).

(٢) مسلم (٢٣٣٠)، والترمذي (٢٠١٥)، والشمائل (٣٤٦).

(٣) المسند (١٢٣١٩)، والبخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥٥٣).

(٤) المسند (١١٧٢٧)، والبخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٣٥)، والترمذي (٣٣٣)، وابن ماجه (٣٧٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٩).

(٥) مسلم (٢٣١٢)، وأبو داود (٤٧٧٤).

شيء قط، فقال: لا[١].

عن موسىٰ بن أنس، عن أبيه، قال: ما سئل رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام شيئًا إلا أعطاه. قال: فجاءه رجل؛ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشىٰ الفاقة[٢].

فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتىٰ يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.

عن مسروق قال: دخلنا علىٰ عبد الله بن عمرو حين قدم مع معاوية إلىٰ الكوفة، فذكر رسول الله ﷺ، فقال: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا. وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من خيركم أحسنكم خلقًا**»[٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل»[٤].

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم؛ فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم؛ فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم علىٰ أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت. فلما صلىٰ رسول الله ﷺ - فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده

---

(١) المسند (١٣٨٨٢)، والحميدي (١١٦٣)، والبخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٩).

(٢) المسند (١١٦٤٠)، ومسلم (٢٣١٤)، وابن خزيمة (٢٢٢٠).

(٣) المسند (٦٤٦٨)، والبخاري (٦٠٣٥).

(٤) مالك (٢٦٢٧) برواية الليثي، ومن طريقه أحمد في المسند (٢٤٣٢٤)، والبخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦) ومسلم (٢٣٢٩)، وأبو داود (٤٧٨٥)، و البخاري في الأدب المفرد (٢٧٤).

أحسن تعليمًا منه؛ فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني - قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**(١).

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: **«بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة»**، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة، متى عهدتني فاحشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة؛ من تركه الناس اتقاء شره»**(٢).

قلت: وهذا الحديث من أعلام النبوة؛ فإن الرجل ظهر كما وصف؛ حيث كان من جملة الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واسم الرجل عيينة بن حصن.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم؛ فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: **«مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف، والفحش»**. قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: **«أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ»**(٣). وفي رواية لمسلم: **«مه يا عائشة؛ فإن الله لا يحب الفحش والتفحش»**.

عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة - فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها

---

(١) المسند (٢٣٢٤٩)، ومسلم (٥٤٠) وأبو داود (٩٣٠) والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٦)، وفي القراءة خلف الإمام له (٦٩، ٧٠).

(٢) أحمد (٢٣٩٨٣)، والبخاري (٦٠٣٢، ٦٠٥٤، ٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩٢)، وأبو داود (٤٧٩١)، والترمذي (١٩٦)، والشمائل له (٣٥٠).

(٣) أحمد (٢٥٣٩٢)، والبخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٨)، وابن ماجه (٣٦٩٨).

حاشيتها -، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة؛ فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال: **«نعم»**، فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها [(١)].

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. قال: **«عجبتُ من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»** قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن: نعم؛ أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا، إلَّا سلك فجًّا غير فجك»** [(٢)].

عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يهدي لرسول الله ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: **«إن زاهرًا باديتنا، ونحن حاضروه»**، وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلًا دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره

---

(١) أحمد (٢٢٣١٧)، والبخاري (١٢٧٧، ٢٠٩٣)، والنسائي في الصغرى (٥٣٢١)، وابن ماجه (٣٥٥٥)، والكبرى للبيهقي (٣/ ٤٠٣).

(٢) أحمد (١٤٧٥)، والبخاري (٣٢٩٤، ٣٦٨٣، ٦٠٨٥)، ومسلم (٢٤٠٠).

بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدًا. فقال النبي ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد» أو قال: «لكن عند الله أنت غالٍ»(١). إسناده صحيح.

قال الشاعر:

ذهب الذين يقال عند فراقهم ... ليت البلاد بأهلها تتقلب





باب حلمه وعفوه ورحمته ﷺ

إن الله تبارك وتعالى اصطفىٰ أنبياءه واختارهم من بين سائر الخلق، وأيدهم بالوحي والآيات البينات الدالات علىٰ قدرته، وعظم خلقه وجلاله تبارك وتعالى، وجعلهم أئمة الهدىٰ ومنارات الدجىٰ؛ يهتدىٰ بهديهم ويسار علىٰ دربهم ويسلك سبيلهم، وجعل تبارك وتعالى فيهم الأسوة لمن أراده تبارك وتعالى واليوم الآخر؛ فقال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

وخص رسول الله ﷺ بالذكر فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وأمر النبي ﷺ أن يسلك طريق الأنبياء قبله فقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن جملة هداهم أن يتخلق بأخلاقهم وصفاتهم، كيف لا، وهم خيرة الخلق، ومن جملة هذه الأخلاق: الحلم، والعفو، والرحمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: ٧٥]

---

(١) أحمد (١٢٢٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٦/ ١٦٩)، بسند صحيح.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولقد كان لنبينا ﷺ الحظ الأوفر من هذه الشيم والمناقب والأخلاق، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]. وقد أمرنا أن نتأسىٰ به ﷺ، وحتىٰ تتم الأسوة به ﷺ سنذكر - إن شاء الله تعالىٰ - بعض الأمثلة من حياته العطرة الدالة علىٰ أخلاقه الحميدة.

قال الشاعر:

عليك بأخلاق الكرام فإنها ... تديم لك الذكر الجميل مع النعم

ولقد أوذي النبي ﷺ أشد الإيذاء من قومه، وعلىٰ الرغم من ذلك صبر وحلم عليهم وعفا عنهم؛ رجاء أن يخرج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أصلابهم من يوحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أنها قالت: يا رسول الله، هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

فقال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذا عرضتُ نفسي علىٰ ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - علىٰ وجهي، فلم استفق إلا بقرب الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني؛ فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك؛ وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم. قال: «فناداني ملك الجبال، وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك؛ لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين».

فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[(١)].

---

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٧)، والكبرىٰ للنسائي (٧٦٥٩).

وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَحَر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتىٰ كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتىٰ إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما أستفتيه فيه؟ جاءني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي: والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي، للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، فقال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة** - قال: - **وجُف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان**». قالت: فأتاها رسول الله ﷺ، في أناس من أصحابه، ثم قال: «**يا عائشة، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين**».

قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا أحرقته؟ قال: «**لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير علىٰ الناس شرًّا؛ فأمرت بها فدفنت**»[1].

قلت: وهذا الحديث قد اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ صحته، ولم ينكره إلا المبتدعة من المعتزلة ومن سلك سبيلهم، فيقولون: لو جاز أن يُسحر عَلَيْهِ السَّلَامُ لجاز أن يختل بيانه، ولدخل في الوحي ما ليس منه، وكيف يُسحر والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. والسحر ضد العصمة؟!

والجواب علىٰ هذا: أن النصوص بينت أن بيانه وأداءه للوحي؛ قد تم علىٰ أتم وجه، وأحسن حال وبيان، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) أحمد (٢٣٧٧٨)، والبخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩)، والنسائي (٧٦١٥)، وابن ماجه (٣٥٤٥).

فالأصل أن يحمل هذا الحديث على غير الوحي؛ إذ إن أهل العلم قالوا: إذا ورد نصان، وكان أحدهما يخالف الآخر في الظاهر؛ فينبغي حمل كل نص على معنًى؛ حتى لا تتضاد النصوص.

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، مع قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

فيقال: ليس للإنسان إلا ما سعي إلا ونذكر الثلاثة، وبهذا يزول الإشكال.

وأيضًا فالسحر كان على جسده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا على بيانه، والأنبياء تمرض كسائر الخلق وتبتلى، أما عقولهم فلا، بالإجماع.

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ ركب على حمار على إكاف على قطيفة فدكية، وأردف أسامة وراءه؛ يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر، فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول - وذلك قبل أن يُسلِم عبد الله -، وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه قال: لا تغبروا علينا. فسلم النبي ﷺ ووقف ونزل؛ فدعاهم إلى الله، فقرأ عليهم القرآن.

فقال له عبد الله بن أبي: يا أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا، فلا تؤذنا به في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه.

قال ابن رواحة: **بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا؛ فإنا نحب ذلك.**

فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ

---

(١) مسلم (١٦٣٥).

يخفضهم حتىٰ سكنوا.

فركب النبي ﷺ دابته حتىٰ دخل علىٰ سعد بن عبادة، فقال له: «**أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب**» - يريد عبد الله بن أبي - قال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح؛ فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة علىٰ أن يتوجوه فيعصبوه، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله؛ شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت[(١)].

قال الشاعر:

حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا ... فلم ينطق العوراء وهو قريب

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ خيلًا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي يا محمد خير! إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علىٰ شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتىٰ إذا كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم علىٰ شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتىٰ كان من الغد، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم علىٰ شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**».

فانطلق إلىٰ نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان علىٰ وجه الأرض وجه

---

(١) أحمد (٢١٢٥٩)، والبخاري (٤٥٦٦)، ومسلم (١٧٩٨)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٩/ ٨).

أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترىٰ؟

فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتىٰ يأذن فيها رسول الله ﷺ(١).

وفي سنن البيهقي(٢): وانصرف إلىٰ بلده ومنع الحمل إلىٰ مكة حتىٰ جهدت قريش؛ فكتبوا إلىٰ رسول الله يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلىٰ ثمامة يخلي إليهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ.

قلت: هكذا تكون المحبة تحمل صاحبها علىٰ فعل أي شيء وإن كان صعبًا.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه، وركب حمارًا، وانطلق المسلمون - وهي أرض سبخة - فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني؛ فوالله لقد آذاني نتن حمارك. قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك. قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه، قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩](٣).

- **عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:** كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري:

---

(١) أحمد (٩٥٢٣)، والبخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٢) (٩/ ٦٦) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث؛ فانتفت شبهة التدليس.

(٣) أحمد (١٢٨٧٩)، والبخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩).

يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوىٰ الجاهلية؟**» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: «**دعوها؛ فإنها منتنة**»، فسمعها عبد الله بن أُبَي فقال: قد فعلوها! والله! لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «**دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[١].

عن عمران بن حصين قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء، فأتىٰ عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد! فأتاه، فقال: «**ما شأنك؟**» فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال - إعظامًا لذلك -: «**أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف**»، ثم انصرف عنه، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد. وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا؛ فرجع إليه فقال: «**ما شأنك؟**» قال: إني مسلم. قال: «**لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح**»، ثم انصرف، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد. فأتاه فقال: «**ما شأنك؟**» قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني، قال: «**هذه حاجتك؟**»، ففدي بالرجلين.

قال: وأُسرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه، حتىٰ تنتهي إلىٰ العضباء، فلم ترغ، قال: وناقة منوقة، فقعدت في عجزها، ثم زجرتها؛ فانطلقت، ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت لله، إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سبحان الله! بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء**

---

(١) الحميدي (١٢٣٩)، والبخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، والترمذي (٣٣١٥).

لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد»[١].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله وتفرق الناس في العضاه، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئنا، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فها هو ذا جالس**» ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ[٢].

وفي «المسند»[٣] قال: فلما وقع السيف أخذه رسول الله ﷺ، فقال: «**من يمنعك مني؟**» قال: كن خير آخذ. قال له رسول الله ﷺ: «**أسلم**»، قال: لا، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلىٰ سبيله، فجاء إلىٰ أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

قال مسدد، عن أبي عوانة، عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث، وقاتل فيها محارب خصفة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل: يا رسول الله، ادعُ علىٰ المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**»[٤].

قلت: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فمن تبعه في الدنيا كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلىٰ به سائر الأمم

---

(١) أحمد (١٩٤٤٦)، ومسلم (١٦٤٤)، وأبو داود (٣٣١٦)، والترمذي (١٥٦٨).

(٢) أحمد (١٣٩٢٥)، والبخاري (٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٤).

(٣) المسند (٤٥١٢).

(٤) مسلم (٢٥٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١).

من الخسف والمسخ والقذف. ولم تتوقف رحمته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند ذلك، بل بلغت إلىٰ أنه لو غضب فلعن أو سب أو شتم أو جلد أحدًا وهو ليس أهلًا لذلك؛ كانت له رحمة وقربة وزكاة وأجرًا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كانت عند أم سليم يتيمة، وهي أم أنس، فرأىٰ رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: **«آنتِ هيه؟ لقد كبرت، لا كبر سنك»**.

فرجعت اليتيمة إلىٰ أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني، والآن لا يكبر سني أبدًا - أو قالت: قرني -. فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها، حتىٰ لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: **«ما لك يا أم سليم؟»** قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها. قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: **«يا أم سليم، أما تعلمين أن شرطي علىٰ ربي، أني اشترطت علىٰ ربي فقلت: إنما أنا بشر؛ أرضىٰ كما يرضىٰ البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيُّما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل؛ أن يجعلها له طهورًا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة»**[1].

وقوله: (هي أم أنس) أي: أم سليم هي أم أنس، وقوله: **«ليس لها بأهل»** أي: في باطن أمره، لا علىٰ ما يظهر له ﷺ - والله يعلم باطنه كما يعلم ظاهره - أن يجعلها له رحمة وزكاة وأجرًا، والله أعلم.

عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام، وأبا مرثد الغنوي؛ وكلنا فارس، فقال: **«انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المشركين»** قال: فأدركناها تسير

(١) مسلم (٢٦٠٣).

علىٰ جمل لها، حيث قال لنا رسول الله ﷺ. قلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب. فأنخنا بها، فابتغينا في رحلها، فما وجدنا شيئًا، قال صاحباي: ما نرىٰ كتابًا، قلت: لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ؛ والذي يحلف به لتخرجِنَّ الكتاب أو لأجردنك، قال: فلما رأت الجد مني؛ أهوت بيدها إلىٰ حجزتها وهي محتجزة بكساء، فأخرجت الكتاب، قال: فانطلقنا به إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «**ما حملك يا حاطب علىٰ ما صنعت؟**»، قال: ما بي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله، وما غيرت، ولا بدلت، أردت أن تكون لي عند القوم يد؛ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله، قال: «**صدق؛ فلا تقولوا له إلا خيرًا**».

قال: فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فأضرب عنقه.

قال: فقال: «**يا عمر، وما يدرك لعل الله قد اطلع علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنة**» قال: فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[(١)].

وعن معاوية بن الحكم السُلمي، قال: بينما أنا أصلىٰ مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم علىٰ أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت. فلما صلىٰ رسول الله ﷺ - فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه؛ فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني - قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**».

قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا

---

(١) المسند (٦٠١)، والبخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٢٤٩٧)، وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذي (٣٣٠٥)، والبيهقي في الكبرىٰ (٩/ ١٤٣).

رجالًا يأتون الكهان. قال: «**فلا تأتهم**».

قال: ومنا رجال يتطيرون. قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**».

قال ابن الصباح: «**فلا يصدنكم**».

قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه؛ فذاك**».

قال: وكانت لي جارية، ترعىٰ غنمًا لي قِبَل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم؛ آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ، فعظّم ذلك عليَّ.

قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**» فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها؛ فإنها مؤمنة**»[(١)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه، مه. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه، دعوه**» فتركوه، حتىٰ بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: «**إن هذه المساجد، لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن**» أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلًا من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشَنَّه عليه[(٢)].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتقي الله واصبري**» قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ. فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إنما الصبر عند**

---

(١) أحمد (٢٣٢٤٩، ٢٧٧١٩)، ومسلم (٥٤٠)، وأبو داود (٩٣٠، ٩٣١)، وسنن الدارمي (١٥٠٢).

(٢) أحمد (١٢٥٧٢)، والبخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٧) واللفظ له.

الصدمة الأولىٰ»[(١)].

عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ: إن ابنًا لي قُبض؛ فأتنا. فأرسل يقرئ السلام ويقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطىٰ، وكل عنده بأجل مسمًّىٰ؛ فلتصبر ولتحتسب»، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرُفع إلىٰ رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع - قال: حسبته أنه قال: كأنها شن - ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[(٢)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدنا بنتًا لرسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ جالس علىٰ القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان، قال: فقال: «هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟» فقال أبو طلحة: أنا. قال: «فانزل». قال: فنزل في قبرها[(٣)].

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتينا النبي ﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا، فقال: «ارجعوا إلىٰ أهليكم فعلموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة؛ فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»[(٤)].

---

(١) البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٧).

(٢) أحمد (٢١٢٩١)، والبخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٦)، وأبو داود (٣١٢٥)، وابن ماجه (١٥٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٥١٢).

(٣) أحمد (١٢٩٧٠)، والبخاري (١٢٨٥)، والترمذي في الشمائل (٣٢٧).

(٤) أحمد (١٥٧١)، والبخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٥) وأبو داود (٥٨٩)، والترمذي (٢٠٥)، والنسائي (٦٣٤)، وابن ماجه (٩٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١٣).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يرحم لا يرحم**»[(١)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولد لي الليلة غلام؛ فسميته باسم أبي إبراهيم**»، ثم دفعه إلىٰ أم سيف - امرأة قين يقال له: أبو سيف - فانطلق يأتيه، واتبعته، فانتهينا إلىٰ أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: يا أبا سيف، أمسك؛ جاء رسول الله ﷺ. فأمسك، فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضىٰ ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون**»[(٢)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم مسترضعًا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظئره قينًا - حدادًا - فيأخذه فيقبله ثم يرجع. قال عمرو: فلما توفي إبراهيم؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة**»[(٣)].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قدم ناس من الأعراب علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا:

---

(١) أحمد (٧٠٨١)، والبخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣٢١)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١)، والبخاري في الأدب المفرد (٩١).

(٢) المسند (١٢٦٠٢)، ومسلم (٢٣١٨)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٤/ ٦٨).

(٣) مسلم (٢٣١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٦).

أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: «نعم»، فقالوا: لكنا، والله ما نقبل. فقال رسول الله ﷺ: «وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة!»[(١)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: أتقبلون الصبيان، فما نقبلهم. فقال رسول الله ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟!»[(٢)].



باب وفائه ﷺ

إن رسول الله ﷺ، هو أعظم الأوفياء، حتىٰ مع الأعداء كان وفيًّا: فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل - قال: - فأخذَنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه، لننصرفن إلىٰ المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا؛ نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم»[(٣)].

وفي حديث صلح الحديبية الطويل، من حديث المسور بن مخرمة، ومروان، وفيه: ثم رجع النبي ﷺ، فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلىٰ الرجلين، فخرجا به حتىٰ بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر معهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرىٰ سيفك هذا يا فلان جيدًا. فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه، فضربه حتىٰ برد وفرَّ الآخر

---

(١) أحمد (٢٣٧٦٩)، ومسلم (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٦٦٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨).

(٢) البخاري (٥٩٩٨)، وفي الأدب المفرد له (٩٠).

(٣) أحمد (٢٢٨٤٤)، ومسلم (١٧٩٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧).

حتىٰ أتىٰ المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «**لقد رأىٰ هذا ذعرًا**» فلما انتهىٰ إلىٰ النبي ﷺ، قال: قُتل والله صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، أوفىٰ الله ذمتك؛ قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم. قال النبي ﷺ: «**ويل أمه؛ مسعر حرب لو كان له أحد**» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتىٰ أتىٰ سيف البحر... الحديث[(١)].

وفي حديث أبي سفيان بن حرب، لما سأله هرقل عن أشياء، وكان من هذه الأشياء، أن قال له: هل يغدر؟ قال: لا. ثم ساق كلامًا، وقال: وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا يغدرون[(٢)].

والله در حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث قال:

هجـوت محمـدًا فأجبـت عنـه ... وعنـد الله في ذاك الجـزاء
هجـوت محمـدًا بـرًّا حنيفًـا ... رسـول الله شـيمته الوفـاء
فـإن أبـي ووالـده وعرضـي ... لعـرض محمـد مـنكم وقـاء
أتهجـوه ولـست لـه بكفء ... فـشركما لخيـركما الفـداء[(٣)]

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: «**اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة**» عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح.

فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث،

---

(١) أحمد (١٨٤٣٠)، والبخاري (٢٧٣٤)، وأبو داود (٢٧٦٥).

(٢) البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٦).

(٣) ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٠).

وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عمارًا، وكان أشب الرجلين، فقتله.

وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه.

وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفة، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا؛ فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا هاهنا.

فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره، اللهم إن لك عليَّ عهدًا؛ إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أن آتي محمدًا ﷺ حتىٰ أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوًّا كريمًا، فجاء فأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلىٰ البيعة جاء به حتىٰ أوقفه علىٰ النبي ﷺ، قال: يا رسول الله، بايع عبد الله. قال: فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبىٰ، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل علىٰ أصحابه، فقال: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلىٰ هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله!**».

فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك؛ هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «**إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين**»[(١)] . حديث صحيح.

ومن وفائه ﷺ كثرة ذكره لخديجة وثنائه عليها؛ حتىٰ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علىٰ رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة؛ فارتاع لذلك، فقال: «**اللهم هالة**» فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها[(٢)] .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: جاءت عجوز إلىٰ النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها

---

(١) النسائي في الصغرىٰ (٤٠٦٧)، وفي الكبرىٰ (٣٥١٦)، والبيهقي في الكبرىٰ (٨/ ٢٠٤)، وشرح معاني الآثار للطحاوي (٣٥٦٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٦/ ١٧٤).

(٢) البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٤٠).

رسول الله: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «**بل أنت حسانة المزنية، كيف كنتم؟ كيف حالكم؟ كيف أنتم بعدنا؟**» قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل علىٰ هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «**إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**»(١) حديث صحيح.

بل بلغ من وفائه ﷺ أنه كان وفيًّا حتىٰ في المنامات:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلىٰ جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته؛ فوليت مدبرًا**» فبكىٰ عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟(٢).

قلت: فأين المسلمون اليوم من وفائه ﷺ.

وصدق القائل:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب



باب حيائه ﷺ

إن من مظاهر الفضائل الحياء، وانتفاءه من الرزائل والقبائح؛ فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»(٣).

---

(١) معجم ابن الأعرابي (٧٧٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١٢٢).

(٢) البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٩)، وابن ماجه (١٠٧).

(٣) أحمد (١٦٦٤١)، والبخاري (٦١٢٠)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣).

والحياء كله خير، وهو من الإيمان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**»(١).

والحياء منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم. أما المحمود فهو الحياء الشرعي الذي يقع علىٰ وجه الإجلال والاحترام للأكابر امتثالًا للشرع.

وأما المذموم فهو ما يقع سببًا لترك أمر شرعي، مثل ترك السؤال عن العلم، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نعم النساء نساء الأنصار؛ لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٢).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يتعلم العلم مستحي، ولا مستكبر)(٣).

وأكمل الهدي وخيره وأنفعه هو هدي النبي ﷺ؛ فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه»(٤).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا، كان يقول عند المعتبة: «**ما له؟ ترب جبينه**»(٥).

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول كذا؟ ولكن يقول: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا!**»(٦).

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه**»(٧).

---

(١) أحمد (٩٤١٧)، والنسائي في الصغرىٰ (٥٠٠٦)، بسند صحيح.

(٢) البخاري معلقًا (١٣٠)، ووصله مسلم (٣٣٤).

(٣) البخاري معلقًا (١٣٠).

(٤) البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٣)، وابن ماجه (٤١٨٠).

(٥) أحمد (١٢٠٥٤)، والبخاري (٦٠٣١).

(٦) أبو داود (٤٧٨٨)، مشكل الآثار للطحاوي (٥٨٨١)، وشعب الإيمان للبيهقي (٨٠٩٩)، بسند صحيح.

(٧) أحمد (١٢٢٧٨)، والترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، بسند صحيح.



باب جوده ﷺ

لا شك أن الجود من السيم الحميدة، والأخلاق الكريمة، وأفضل ما يجود به المرء نفسه، فلقد جاد رسول الله ﷺ بنفسه في سبيل الله، وبذل وقته وعمره جميعًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فليس هناك جود أعظم من ذلك، وكان جوادًا أيضًا مع الناس؛ فلم يبخل قط بشيء معه، وما قال لأحد قط: لا.

ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»(١).

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: لا»(٢).

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ، أحسن الناس وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتًا، قال: فتلقاهم النبي ﷺ، علىٰ فرس لأبي طلحة عري، وهو متقلد سيفه، فقال: «**لم تراعوا لم تراعوا**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**وجدته بحرًا**» يعني: الفرس(٣).

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ، ومعه الناس، مقبلًا من حنين، علقت رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتىٰ اضطروه إلىٰ سمرة، فخطفت

---

(١) أحمد (٢٦١١)، والبخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) المسند (١٣٨٨٢)، والبخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١٣)، وسنن الدارمي (٧٠).

(٣) البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٢٣٠٩)، والترمذي (١٦٨٧)، وابن ماجه (٢٧٧٢).

رداءه؛ فوقف رسول الله ﷺ، فقال: «**أعطوني ردائي؛ فلو كان عدد هذه العضاه نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا**»(١).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله، فقال: «**ما عندي من شيء أعطيك، ولكن استقرض علينا حتى يأتينا شيء فنعطيك**» فقال عمر: يا رسول الله، ما كلفك الله هذا؛ أعط ما عندك، فإذا لم يكن فلا تكلف. قال: فكره رسول الله ﷺ قول عمر، حتى عرف ذلك في وجهه، فقام رجل من الأنصار، فقال: بأبي أنت وأمي، أعط، ولا تخف من ذي العرش إقلالًا. قال: فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «**بهذا أمرت**»(٢).

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضك الثناء

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فأغلظ؛ فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالًا**» ثم قال: «**أعطوه سنًّا مثل سنه**»، قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال: «**أعطوه؛ فإن من خيركم أحسنكم قضاءً**»(٣).

سألنا الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق مُنيتنا وزادا
مرارًا ما أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكًا وثنى الوسادا



(١) المسند (١٦٣٣٤)، والبخاري (٣١٤٨)، وصحيح ابن حبان (٤٨٢٠).
(٢) البحر الزخار (٢٧٣)، والأحاديث المختارة للمقدسي (٧٨)، بسند حسن.
(٣) البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠٢)، والترمذي (١٣١٧).

باب تواضع النبي ﷺ

التواضع من السجايا الحميدة التي يتصف بها المتقون، ومن أخص خصال المؤمنين، والكبرياء من صفات رب العالمين؛ فلا يجوز للعبد أن يتصف بها؛ فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدًا منهما؛ أدخلته جهنم**»(١).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه - والخطاب عام لأمته -: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، هذا مع أنه خير من وطئ الحصىٰ بقدماه، وخير من أظلته السماء، وسيد ولدْ آدم، وأول من يدخل الجنة، وغير ذلك كثير؛ إلا أنه كان أشد الناس تواضعًا لربه عَزَّوَجَلَّ؛ فقد علم حقيقة الأمر: أن العبد مهما بلغ من المكانة والشرف والرفعة فهو عبد؛ فاقتصرت همته علىٰ رضا ربه عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات: ٦٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٢).

قلت: الرفعة تشمل الدارين جميعًا، في الدنيا بمكانة في القلوب وإجلالًا، وفي الآخرة رفعة وعلوًّا وثوابًا عظيمًا.

وعن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا؛ حتىٰ لا يبغىٰ أحد علىٰ أحد، ولا يفخر أحد علىٰ أحد**»(٣).

---

(١) سنن ابن ماجه (٤١٧٥)، والبحر الزخار (٥١٠٦)، بسند حسن، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أحمد (٨٨٠٣)، ومسلم (٢٥٩٠)، والترمذي (٢٠٢٩).

(٣) أبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩)، بسند حسن.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنةً. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»(١).

وسُئل الفضيل عن التواضع، فقال: (التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه)(٢).

وقال ابن المبارك: (رأس التواضع: أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتىٰ تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن فوقك في نعمة الدنيا حتىٰ تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل)(٣).

وصدق القائل:

أف لذي الدنيا إذا كانت كذا ... أنا منها كل يوم في أذىٰ

ولقد كنت إذا ما قيل: من ... أنعم الناس معاشًا؟ قيل: ذا

ثم بدلت بعيش شقوة ... حبذا هذا شقاء حبذا

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: (التواضع: أن تخرج من منزلك فلا تلقَ مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا)(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جلس جبريل إلىٰ النبي ﷺ فنظر إلىٰ السماء، فإذا

---

(١) مسلم (٩٢)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨)، وابن ماجه (٥٩).

و(بطر الحق): دفعه ورده علىٰ قائله.

و(غمط الناس): احتقارهم وازدراؤهم.

(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (٨٨).

(٣) المصدر السابق (٨٩).

(٤) المصدر السابق (١١٦).

ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبل الساعة، فلما نزل، قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، قال: أفملِكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبدًا رسولًا»[١].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا في ناحية الغرفة، وإذا أفيق معلق.

قال: فابتدرت عيناي. قال: «ما يبكيك يا بن الخطاب؟» قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته، وهذه خزانتك؟! فقال: «يا بن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟» قلت: بلى[٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سُئلت: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله - تعني: خدمة أهله -، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٣].

وفي «المسند» عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سُئلت: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته شيئًا؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته[٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أسود - رجلًا، أو امرأة - كان يقم المسجد، فمات

---

(١) المسند (٧١٢٠)، ومسند أبي يعلى الموصلي (٦١٠٥)، وصحيح ابن حبان (٦٣٦٥)، بسند حسن.

(٢) مسلم (١٤٧٩) بطوله.

(٣) البخاري (٦٧٦).

(٤) المسند (٢٤٨١٢) بسند صحيح.

ولم يعلم النبي ﷺ بموته، فذكره ذات يوم، فقال: «**ما فعل ذلك الإنسان؟**» قالوا: مات يا رسول الله. قال: «**أفلا آذنتموني**» فقالوا: إنه كان كذا، وكذا قصته، قال: فحقروا شأنه، قال: «**فدلوني على قبره**» فأتى قبره فصلى عليه [(١)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتقي الله واصبري**» قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» [(٢)].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**» [(٣)].

قلت: «**لا تطروني**»: أي لا تمدحوني؛ «**إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**».

وإنما منع ذلك رسول الله ﷺ حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه النصارى من الإسراف والغلو، كما يقول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	**سواك عند حدوث الحادث العمم**
إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي	**فضلًا وإلا قل يا زلة القدم**
فإن من جودك الدنيا وضرتها	**ومن علومك علم اللوح والقلم**

فهذا مدح، ولكنه كفر؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) البخاري (١٣٣٧)، ومسلم (٩٥٩).

(٢) البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٧).

(٣) أحمد (١٥٥)، والبخاري (٣٤٤٥).

فعن الربيع بنت معوذ قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ صبيحة عرسي، وعندي جاريتان تتغنيان، وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر، وتقولان فيما تقولان: (وفينا نبي يعلم ما في غد)، فقال: «**أما هذا فلا تقولوه؛ ما يعلم ما في غد إلا الله**»(١).

عن محمد بن سيرين قال: سُئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يكن شاب إلا يسيرًا، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضبًا بالحناء والكتم. قال: وجاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلىٰ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله، حتىٰ وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه**» تكرمة لأبي بكر، فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة، فقال رسول الله ﷺ: «**غيروهما، وجنبوه السواد**»(٢).

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. فقال: «**يا أم فلان، انظري أي السكك شئت، حتىٰ أقضي لك حاجتك**» فخلا معها في بعض الطرق، حتىٰ فرغت من حاجتها(٣).

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لو دعيت إلىٰ ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إليّ ذراع أو كراع لقبلت**»(٤).

والكراع: هو مستدق الساق العاري من اللحم.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتىٰ يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**»(٥).

---

(١) المسند (٢٦٤٨٠)، والبخاري (٤٠٠١)، وابن ماجه (١٨٩٧).

(٢) المسند (١٢٢٢٤) بسند صحيح.

(٣) مسلم (٢٣٢٨)، وأبو داود (٤٨١٨).

(٤) المسند (٩٨٥٥)، والبخاري (٢٥٦٨).

(٥) البخاري (٦١٢٩)، والترمذي (٣٣٣)، وابن ماجه (٣٧٢٠).

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئًا؛ فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش عليَّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١][(١)].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن رسول الله ﷺ كان لا يُدفع عنه الناسُ، ولا يُضربوا عنه»[(٢)].

فما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجَّاب، وصدق القائل:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... علىٰ صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلىٰ طبقات الجو وهو وضيع





باب حسن عشرته ﷺ

علىٰ الرغم من أن النبي ﷺ كان محملًا بأعباء الدعوة والجهاد وغير ذلك، إلا أنه كان حسن العشرة لأهله، فيسامرهم، ويسمع شكواهم من غير ضجر ولا سخب، ويتحدث إليهم.

ولما فَقدت كثيرٌ من بيوت المسلمين هذا الخلقَ الرفيع نتج عنه كثير من المشاكل.

ولو رجع المسلمون مرة ثانية إلىٰ سيرة النبي ﷺ، وعملوا بما فيها؛ لحلت كثير من هذه المشاكل.

فها هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحكي بعض تلك المواقف؛ فتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: خرجت

---

(١) البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٧).

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٢٨) بسند صحيح.

مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «**تقدموا**» فتقدموا، ثم قال لي: «**تعالي حتىٰ أسابقك**» فسابقته فسبقته. فسكت عني، حتىٰ إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال: «**تعالي حتىٰ أسابقك**»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: «**هذه بتلك**»(١).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لعب -، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» قالت: بناتي، ورأىٰ بينهن فرسًا له جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذي أرىٰ وسطهن؟**» قالت: فرس. قال: «**وما هذا الذي عليه؟**» قالت: جناحان. قال: «**فرس له جناحان؟!**» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتىٰ رأيت نواجذه(٢).

قلت: يتسامح للصغار ما لا يتسامح للكبار؛ فإن هذا كان في صغرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه علىٰ موضع في، فيشرب. وأتعرق العرق، وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه علىٰ موضع في»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدىٰ أمهات المؤمنين بصحفة، فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يدَ الخادم؛ فسقطت

---

(١) المسند (٢٥٧٤٤)، وأبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٨٩٦)، بسند صحيح.

(٢) أبو داود (٤٩٣٢)، النسائي في الكبرىٰ (٨٩٠١)، بسند صحيح.

(٣) أحمد (٢٤٤٣٢)، ومسلم (٣٠٣)، وأبو داود (٢٥٩).

الصحفة، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم حبس الخادم حتىٰ أتىٰ بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلىٰ التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت[١].

عن الأسود بن يزيد النخعي قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني: خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة[٢].

قلت: هكذا ينبغي أن يكون المرء؛ تأسيًا بالنبي ﷺ.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبىٰ**» قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «**أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبىٰ؛ قلت: لا ورب إبراهيم**» قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله؛ ما أهجر إلا اسمك[٣].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم علىٰ باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه؛ لكي أنظر إلىٰ لعبهم، ثم يقوم من أجلي، حتىٰ أكون أنا التي أنصرف؛ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة علىٰ اللهو[٤].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «جلس إحدىٰ عشرة امرأة، فتعاهَدْنَ وتعاقدن أن لا

---

(١) البخاري (٥٢٢٥)، وأبو داود (٣٥٦٧)، والترمذي (١٣٥٩).

(٢) أحمد (٢٣٧٠٥)، والبخاري (٦٧٦)، والترمذي (٢٤٨٩).

(٣) البخاري (٥٢٢٨)، ومسلم (٢٤٤٢).

(٤) البخاري (٥١٩٠)، ومسلم (٨٩٢).

يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا.

(فقالت الأولىٰ): زوجي لحم جَملٍ غَثّ، علىٰ رأس جبل وعر؛ لا سهلٌ فيرتقىٰ، ولا سمينٌ فينتقل. (قالت الثانية): زوجي لا أبث خبره؛ إني أخاف أن لا أذَرَهُ، إن أذكره أذكرْ عُجَره وبُجَره. (قالت الثالثة): زوجي العَشَنّق، إن أنْطِقْ أُطلَّق، وإن أسكت أُعَلَّق. (قالت الرابعة): زوجي كَلَيْلِ تهامةَ؛ لا حَرَّ ولا قَرَّ، ولا مخافة ولا سآمة. (قالت الخامسة): زوجي إن دخل فَهِدَ، وإن خرج أسِدَ، ولا يسأل عما عَهِدَ. (قالت السادسة): زوجي إن أكل لَف، وإن شَرِبَ اشْتَفَّ، وإن اضطجع التفَّ، ولا يولجُ الكفَّ لِيَعلمَ البَثَّ. (قالت السابعة): زوجي عَيَاياءُ - أو غياياءُ - طباقاء، كلُّ داءٍ له داء، شَجَّكِ أو فَلَّكِ، أو جمع كُلًّا لَكِ. (قالت الثامنة): زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريح ريح زَرْنَب. (قالت التاسعة): زوجي رفيعُ العماد، طويل النِّجاد، عظيمُ الرَّماد، قريبُ البيت من النادي. (قالت العاشرة): زوجي مالكٌ، وما مالِك؟ مالكٌ خير من ذلك، له إبلٌ كثيراتُ المبارك، قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المِزْهَر أيقنَّ أنهنَّ هَوالك.

(قالت الحادية عشرة): زوجي أبو زَرْع، وما أبو زَرْع؟ أناسَ من حُليِّ أُذُنَيَّ، ملأ من شَحْمٍ عَضُديَّ، وبَجَّحَني فبَجَحْتُ إليَّ نفسي، وجدني في أهل غُنيمةٍ بِشِق، فجعلني في أهل صَهيلٍ وأَطيطٍ، ودائِسٍ ومُنَقٍّ، فعنده أقولُ فلا أُقَبَّحُ، وأرقدُ فأتصبّحُ، وأشربُ فأتقَمَّحُ.

أمُّ أبي زرع، فما أمُّ أبي زرع؟ عُكومُها رَدَاحٌ، وبيتُها فَسَاح.

ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسلِّ شَطْبَةٍ، ويُشْبِعُهُ ذِراعُ الجَفْرَةِ.

بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع؟ طَوعُ أبيها وطَوعُ أمها، وملءُ كسائها، وغَيْظُ جارتها.

جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تَبثُّ حديثنا تبثيثًا، ولا تَنْقُثُ ميرتَنا تنقيثًا،

ولا تَملأ بيتنا تعشيشًا.

قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تُمْخَضُ، فَلقي امرأةً معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خَصْرها برمَّانتين، فطلَّقني ونكحها، فنكحْتُ بعده رجلًا سَريًّا، رَكِبَ شَريًّا، وأخذ خَطِيًّا، وأراح عليَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وأعطاني من كل رائحةٍ زوجًا، وقال: كلي أم زرع، وميري أهلك. فلو جمعتُ كل شيء أعطاني ما بَلَغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقال لي رسول الله ﷺ: **«كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأم زرعٍ»**[(١)].

شرح ألفاظ الحديث وغريبه:

قال ابن حجر: قوله: «فتعاهدن وتعاقدن» أي: ألزمن أنفسهن عهدًا، وعقدن على الصدق من ضمائرهن عقدًا.

قال ابن حجر: قوله: «أن لا يكتمن» في رواية ابن أبي أويس وعقبة: (أن يتصادقن بينهن ولا يكتمن)، وفي رواية سعيد بن سلمة عند الطبراني: (أن ينعتن أزواجهن ويصدقن)، وفي رواية الزبير: (فتبايعن على ذلك).

وقول الأولى: «زوجي لحم جَملٍ غَثّ» أي: كلحم الجمل في الرداءة، لا كلحم الضأن، والمقصود منه: المبالغة في قلة نفعه، والرغبة عنه.

«على رأس جبل وعر، لا سهلٌ فيرتقى، ولا سمينٌ فينتقل» المقصود: المبالغة في تكبره وسوء خلقه، فلا يوصل إليه إلا بغاية المشقة، ولا ينفع زوجته في عشرة ولا غيرها، مع كونه مكروهًا رديئًا، ومعنى «لا ينتقل» أي: لا ينقله الناس إلى بيوتهم ليأكلوه بعد مقاساة التعب ومشقة الوصول، بل يرغبون عنه لرداءته. وبالجملة فقد وصفته بالبخل والرداءة، والكبر على أهله، وسوء الخلق.

---

(١) البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٩).

وأما قول الثانية: «زوجي لا أبث خبره» أي لا أظهره وأنشره.

قال ابن حجر: قوله: «إني أخاف أن لا أذره» أي: أخاف أن لا أترك من خبره شيئًا، فالضمير للخبر، أي أنه لطوله وكثرته إن بدأته لم أقدر علىٰ تكميله، اكتفت بالإشارة إلىٰ معايبه؛ خشية أن يطول الخطب بإيراد جميعها.

قوله: «عجره وبجره» فالعجر: تعقد العصب والعروق في الجسد حتىٰ تصير ناتئة، والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالتي تكون في البطن، قاله الأصمعي وغيره، وقال الخطابي: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة، قال: ولعله كان مستور الظاهر، رديء الباطن.

قالت الثالثة: «زوجي العشنق»؛ هو الطويل، وقال الأصمعي: أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع.

قوله: «إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق» أي: إن ذكرت عيوبه فيبلغه طلقني، وإن سكت عنها فأنا عنده معلقة، لا ذات زوج ولا أيم. هكذا توارد عليه أكثر الشراح تبعًا لأبي عبيد، وفي الشق الثاني عندي نظر؛ لأنه لو كان ذلك مرادها لانطلقت؛ ليطلقها فتستريح، والذي يظهر لي أيضًا أنها أرادت وصف سوء حالها عنده، فأشارت إلىٰ سوء خلقه، وعدم احتماله لكلامها إن شكت له حالها، وأنها تعلم أنها متىٰ ذكرت له شيئًا من ذلك بادر إلىٰ طلاقها، وهي لا تؤثر تطليقه؛ لمحبتها فيه، ثم عبرت بالجملة الثانية إشارة إلىٰ أنها سكتت صابرة علىٰ تلك الحال.

قوله: قالت الرابعة: «زوجي كليل تهامة؛ لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة»؛ وصفت زوجها بجميل العشرة، واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت: لا أذىٰ عنده ولا مكروه، وأنا آمنة منه؛ فلا أخاف من شره، ولا ملل عنده؛ فيسأم من

عشرتي، أو ليس بسيئ الخلق فأسأم من عشرته؛ فأنا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل.

قوله: قالت الخامسة: «زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد»؛ قال ابن أبي أويس معناه: إن دخل البيت وثب عليَّ وثوب الفهد، وإن خرج كان في الإقدام مثل الأسد، فعلىٰ هذا يحتمل قوله «وثب» علىٰ المدح والذم، فالأول تشير إلىٰ كثرة جماعه لها إذا دخل، فينطوي تحت ذلك تمدحها بأنها محبوبة لديه؛ بحيث لا يصبر عنها إذا رآها، والذم إما من جهة أنه غليظ الطبع؛ ليست عنده مداعبة ولا ملاعبة قبل المواقعة؛ بل يثب وثوبًا كالوحش، أو من جهة أنه كان سيئ الخلق، يبطش بها ويضربها، وإذا خرج علىٰ الناس كان أمره أشد في الجرأة والإقدام والمهابة كالأسد.

وقولها: «ولا يسأل عما عهد»؛ يحتمل المدح والذم أيضًا، فالمدح بمعنىٰ أنه شديد الكرم، كثير التغاضي، لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلىٰ ما يرىٰ في البيت من المعايب، بل يسامح ويغضي. ويحتمل الذم، بمعنىٰ أنه غير مبالٍ بحالها، حتىٰ لو عرف أنها مريضة أو معوزة، وغاب ثم جاء لا يسأل عن شيء من ذلك، ولا يتفقد حال أهله ولا بيته؛ بل إن عرضت له بشيء من ذلك وثب عليها بالبطش والضرب. وأكثر الشراح شرحوه علىٰ المدح، فالتمثيل بالفهد من جهة كثرة التكرم أو الوثوب، وبالأسد من جهة الشجاعة، وبعدم السؤال من جهة المسامحة.

قالت السادسة: «زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث»؛ أي: أنه يخلط صنوف الطعام من نهمته وشرهه، ثم لا يبقي

منه شيئًا.

والاشتفاف في الشرب: استقصاؤه، مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف، وهي البقية تبقىٰ في الإناء، فإذا شربها الذي شرب الإناء قيل: اشتفها، ومنهم من رواها بالمهملة، وهي بمعناها.

وقولها: «التف»، أي: رقد ناحية، وتلفف بكسائه وحده، وانقبض عن أهله إعراضًا. وقولها: «ولا يولج الكف ليعلم البث»، أي: لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن فيزيله. ويحتمل أن تكون أرادت أنه ينام نوم العاجز الفشل الكاسل.

قالت السابعة: «زوجي عياياء - أو غياياء - طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلًّا لك».

قال القاضي عياض: وصفته بالحمق والتناهي في سوء العشرة، وجمع النقائض؛ بأن يعجز عن قضاء وطرها مع الأذىٰ، فإذا حدثته سبها، وإذا مازحته شجها، وإذا أغضبته كسر عضوًا من أعضائها، أو شق جلدها، أو أغار علىٰ مالها، أو جمع كل ذلك من الضرب والجرح وكسر العضو وموجع الكلام وأخذ المال.

قالت الثامنة: «زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب».

الزرنب: قيل: نبت طيب الريح، وقيل: شجرة عظيمة بالشام بجبل لبنان لا تثمر، لها ورق بين الخضرة والصفرة، وقيل: هو الزعفران.

قالت التاسعة: «زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد».

«رفيع العماد»: طويل البيت متسعه. «طويل النجاد»: حمالة السيف. «عظيم الرماد»: أي نار قراه للأضياف لا تطفأ لتهتدي الضيفان إليها؛ فهو سيد كريم، حسن

الخلق، طيب المعاشرة.

قالت العاشرة: «زوجي مالك وما مالك...».

«المبارك»: موضع نزول الإبل، و«المسارح»: الموضع الذي تطلق لترعىٰ فيه. وفيه إشارة إلىٰ كثرة الضيفان؛ فاليوم الذي يطرقه الضيف فيه لا تسرح حتىٰ يأخذ منها حاجته للضيفان، واليوم الذي لا يطرقه فيه أحد تسرح كلها.

قالت الحادية عشرة: «زوجي أبو زرع، فما أبو زرع...».

«دائس»: خير دائم، «ومنق»: كثرة المال.

«فلا أقبح»: أي لا يقال لي: قبحك الله، أو لا يقبح قولي ولا يرد عليّ.

«وأرقد فأتصبح»: أي أنام الصبيحة، وهي نوم أول النهار، إشارة إلىٰ وجود من يكفيها مؤنة بيتها وأهلها.

«وأشرب فأتقنح»: روىٰ (وأتقمح) أي: أروىٰ حتىٰ لا أحب الشرب.

«عكومها رداح، وبيتها فساح»: أي أن والدة زوجها كثيرة الآلات والأثاث والقماش، واسعة المال كبيرة البيت.

«مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة»: «كمسل شطبة» أي: ما شطب من الجريد، وهو سعفه؛ فيشق منه قضبان تنسج منه الحرير. و«ذراع الجفرة»: أي الأنثىٰ من ولد الماعز إذا كان له أربعة أشهر فُصل عن أمه وأخذ في الرعي.

«ملء كسائها، وغيظ جارتها»: أي كمال شخصها ونعمة جسمها.

«تبثيثًا»: أي: لا تظهره.

«تنقث»: أي: لا تخون ولا تسرق.

قلت: وكذلك ينبغي للنساء أن يترسمن سير أزواج النبي ﷺ؛ ليتعلمن كيف يعاملن الأزواج، وتسعد البيوت، وتشعر بالدفء الذي ساد بيوت الصحابة رضي الله عنهم، فقد جاءت أسماء الخطيمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ في حاجة، فلما فرغت من حاجتها، فقال لها: «**أذات زوج أنت؟**» قالت: نعم، قال: «**فأين أنت منه؟**».

قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: «**انظري أين أنت منه؛ فإنه جنتك ونارك**»(١).

ما آلوه: أي: لا أقصر في طاعته وخدمته.

قلت: ولا بد من تقيد ذلك بأن يكون في المعروف؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**»(٢).





باب معيشة النبي ﷺ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]. لأن ما ادخره الله تعالىٰ لك في الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ: ٥]. لذلك كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا؛ لحقارتها عنده، وعلمه اليقيني أن ما عند الله خير وأبقىٰ، فكان إذا جاءه شيء؛ أنفقه علىٰ الناس، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد.

وربىٰ الصحابة علىٰ ذلك؛ فكانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، فلم يتحسروا علىٰ

---

(١) المسند (٢٦٨٠٥)، والكبرىٰ للنسائي (٨٩١٤)، والكبرىٰ للبيهقي (٧/ ٢٩٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٨٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٢)، وأبو داود (٢٦٢٥).

شيء فقدوه منها، ولا فرحوا بما حصلوه، وكان الواحد منهم إذا جاءه ريع ماله؛ اغتم غمًّا شديدًا، ولم يسترح حتىٰ ينفقه في سبيل الله، ولم يبق لنفسه إلا ما تحتاجه وأهله أيضًا.

لذلك ملكوا الدنيا، علىٰ الرغم من كراهيتهم لها؛ لأنها دار تحصيل لما هو أهم وأفضل.

وصدق القائل إذ يقول:

إنما الدنيا وإن سرت	قليل من قليل
ليس يخلو أن تبدىٰ	لك في زي جميل
ثم ترميك من المأمن	بالخطب الجليل
إنما العيش جواز	الله في ظل ظليل
حيث لا تسمع ما	يؤذيك من قال وقيل

ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن نتكاسل ونترك العمل حتىٰ نتأخر ونكون في أخريات الناس ويكون طعامنا من عند غيرنا، كما هو الحال الآن في ديار المسلمين، نسأل الله العافية.

ولكن ينبغي أن نسود كما ساد آباؤنا الأوائل، فينبغي وبكل صراحة - لأن هذه حقيقة لا شك فيها - أن نرجع مرة ثانية إلىٰ حقيقة هذا الدين، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلىٰ الشرب الأول زمن النبي ﷺ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فعن عمرو بن عوف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما الفقر أخشىٰ عليكم، ولكن أخشىٰ عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت علىٰ من كان قبلكم؛ فتنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم**».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلىٰ زخرفها ولا ينافس غير فيها، ويستدل به علىٰ أن الفقر أفضل من الغنىٰ؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنىٰ، والغنىٰ مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلىٰ هلاك النفس غالبًا، والفقير آمن من ذلك.

وصدق القائل:

وما الدهر والأيام إلا تصرف ... وما العيش إلا خيرة ونكوب

وما المال إلا عارة عند أهله ... وما الناس إلا ميت فذهوب

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت لعروة: «ابن أختي، إن كنا لننظر الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار»؛ فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر، والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم، فيسقيناه»[(١)].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لي مثل أحد ذهبًا؛ لسرني ألا تمر عليَّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء، إلا شيئًا أرصده لدين**»[(٢)].

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنا نخرج الكراع فنأكله بعد خمس عشرة»، قيل: ما اضطركم إليه؟ فضحكت، قالت: «ما شبع آل محمد من خبز بر مأدوم ثلاثة أيام حتىٰ لحق بالله»[(٣)].

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ما علمت النبي ﷺ أكل علىٰ سكرجة قط، ولا خُبز له

---

(١) البخاري (٦٤٥٩)، ومسلم (٢٩٧٥).

(٢) البخاري (٦٤٤٥)، ومسلم (٩٩٢)، وابن ماجه (٤١٣٢).

(٣) البخاري (٥٤٢٣).

مرقق قط، ولا أكل على خوان قط»، قيل لقتادة: فعلام كانوا يأكلون؟ قال: على السفر[١].

السكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم.

المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة.

خوان: طبق مرتفع يوضع عليه الطعام، وهو ما يسمى الآن بالطاولة والمنضدة.

السفر: جمع سفرة، وهي جلد مستدير حوله حلق من حديد يضم به، ويعلق، وكان يوضع فيه زاد المسافر.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف»[٢]. الليف: ليف النخل.

وفي حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا في ناحية الغرفه، وإذا أفيق معلق»، قال: «فابتدرت عيناي»، قال: «**ما يبكيك يا بن الخطاب؟**» قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته، وهذه خزانتك؟!» فقال: «**يا بن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا**»، قلت: «بلى»[٣].

---

(١) البخاري (٥٣٨٦)، والترمذي (٢٣٦٣)، والسنن الكبرى للنسائي (٦٦٠٤).

(٢) البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٤).

(٣) مسلم (١٤٧٩).

وفي حديث الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس، عن عمر في هذه القصة: فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر، إلا أهبًا ثلاثة، فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع علىٰ أمتك؛ فقد وسع علىٰ فارس والروم وهم لا يعبدون الله؛ فاستوىٰ جالسًا، ثم قال: «**أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**» فقلت: استغفر لي يا رسول الله. وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا؛ من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عَزَّوَجَلَّ[1].

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ، وهو علىٰ سرير مرمول بالشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، ودخل عليه عمر، وناس من أصحابه، فانحرف النبي ﷺ انحرافة، فرأىٰ عمر أثر الشريط في جنبه فبكىٰ، فقال له: «**ما يبكيك يا عمر؟**» فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وما لي لا أبكي، وكسرىٰ وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت علىٰ الحال الذي أرىٰ؟ فقال له النبي ﷺ: «**يا عمر، أما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟**» قال: بلىٰ. قال: «**فإنه كذلك**»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر، فقال: «**ما جاء بك يا أبا بكر؟**» فقال: خرجت ألقىٰ رسول الله ﷺ، وأنظر في وجهه والتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: «**ما جاء بك يا عمر؟**» قال: الجوع يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا قد وجدت**

---

(١) البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٨٠).

(٢) المسند (١٢٠٠٩)، وأبو يعلىٰ الموصلي في مسنده (٢٧٨٢)، وحسنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٧/ ٣٩٦)، وهو كما قال. ومرمول: أي سرير نسج وجهه بالسعف، ولم يكن علىٰ السرير وطاء سوىٰ الحصير.

ذلك». فانطلقوا إلىٰ منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري - وكان رجلًا كثير النخل والشاه، ولم يكن له خادم - فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: «أين صاحبك؟» فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يَزْعَبُها، فوضعها، ثم جاء يلتزم النبي ﷺ، ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلىٰ حديقته فبسط لهم بساطًا، ثم انطلق إلىٰ نخلة، فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ: «**أفلا تنقيت لنا من رطبه**» فقال: يا رسول الله، إني أردت أن تختاروا - أو قال: تخيروا من رطبه، وبسره - فأكلوا، وشربوا من ذلك الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة؛ ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد**». فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعامًا، فقال النبي ﷺ: «**لا تذبحن ذات در**»، قال: فذبح لهم عناقًا أو جديًا فأتاهم بها، فأكلوا، فقال النبي ﷺ: «**هل لك خادم؟**»، قال: لا، قال: «**فإذا أتانا سبي فأتنا**»، فأُتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، فقال النبي ﷺ: «**اختر منهما**». فقال: يا نبي الله، اختر لي. فقال النبي ﷺ: «**إن المستشار مؤتمن؛ خذ هذا؛ فإني رأيته يصلي، واستوصِ به معروفًا**». فانطلق أبو الهيثم إلىٰ امرأته، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ، إلا أن تعتقه؛ قال: فهو عتيق. فقال النبي ﷺ: «**إن الله لم يبعث نبيًّا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالًا؛ ومن يوقَ بطانة السوء فقد وقي**»(١).

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**».

---

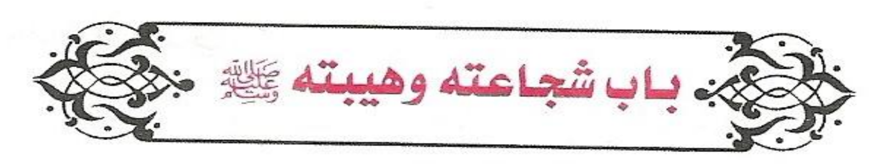
(١) الترمذي (٢٣٦٩) وقال: حسن صحيح. وهو كمال قال، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٣٤١)، ورواه البخاري مختصرًا من حديث أبي أيوب الأنصاري (٧١٩٨)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ١٠٩).

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك(١).

ولله در الشاعر؛ حيث يقول:

لعمرك ما الدنيا بدار لأهلها	**ولو عقلوا كانوا جميعًا علىٰ وجل**
فما تبحث الساعات إلا عن البلىٰ	**ولا تنقضي الأيام إلا علىٰ ثكل**





باب شجاعته وهيبته ﷺ

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة؛ فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلىٰ الصوت وهو علىٰ فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف وهو يقول: «**لم تراعوا، لم تراعوا**». قال: «**وجدناه بحرًا، أو إنه لبحرٌ**»(٢).

عن عبد الله بن مسعود، عن سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل علىٰ سعدٍ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل علىٰ أمية. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرًا، فنزل علىٰ أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت. فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد.

---

(١) البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣).

(٢) المسند (١٢٠٨٥)، والبخاري (٢٨٢٠، ٢٩٠٨، ٣٠٤٠، ٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٩).

فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة أمنًا وقد أوتيتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلىٰ أهلك سالمًا.

فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك علىٰ المدينة.

فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد علىٰ أبي الحكم سيد أهل الوادي.

فقال سعد: دعنا عنك يا أمية؛ فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**».

قال: بمكة؟ قال: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا. فلما رجع أمية إلىٰ أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي. فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلمّا كان يوم بدرٍ استنفر أبو جهل الناس؛ قال: أدركوا عيركم. فكره أمية أن يخرج؛ فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متىٰ ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي؛ تخلفوا معك.

فلم يزل به أبو جهل حتىٰ قال: أما إذ غلبتني؛ فوالله لأشترين أجود بعير بمكة.

ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟

قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا.

فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلًا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتىٰ قتله الله عَزَّوَجَلَّ ببدر[1].

---

(١) المسند (٣٧٨٤)، والبخاري (٣٦٣٢، ٣٩٥٠)، والبحر الزخار (١٨٥٧).

وفي رواية إسرائيل: قال: فوالله لا يكذب محمد إذا حدث.

وعند البيهقي: فقال: والله ما يكذب محمد. فكاد أن يحدث.

والحدث: هو خروج الخارج من أحد السبيلين من شدة فزعه وخوفه.

عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] إلىٰ آخر الآية؛ جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبي ﷺ؛ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «**يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكىٰ؟**» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوىٰ. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ. فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا علىٰ رسول الله ﷺ؛ فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»[1]. رواه البخاري ومسلم.

عن موسىٰ وعيسىٰ ابني طلحة، عن أبيهما طلحة: أن أصحاب النبي ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سله عمن قضىٰ نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترئون علىٰ مسألته؛ يوقرونه ويهابونه. فسأله الأعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه. ثم إني طلعت من باب المسجد، وعليَّ ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ، قال: «**أين السائل عمن قضىٰ نحبه؟**» قال: أنا يا رسول الله. قال: «**هذا ممن قضىٰ نحبه**». رواه الترمذي وحسنه[2].

عن أبي مسعود البدري عقبة بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت أضرب غلامًا لي

---

(١) المسند (١٢٠٧١)، والبخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩).

(٢) الترمذي (٣٧٤٢)، وأبو يعلىٰ في مسنده ورقة (٤٥/ ١)، والضياء المقدسي في المختارة.

بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود!» فلم أفهم الصوت من الغضب. قال: فلما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ. فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود» قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام». قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا[(١)].

وفي مسند عبد بن حميد: «فلما رأيته سقط السوط من يدي من هيبته»[(٢)].

عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة؛ فجاءوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب؛ فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم[(٣)].

عن أبي إسحاق قال: سأل رجل البراء رضي الله عنه، فقال: يا أبا عمارة، أَوَلَّيْتُمْ يوم حنين؟ قال البراء، وأنا أسمع: أما رسول الله ﷺ لم يولِّ يومئذٍ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

قال: فما رئي من الناس يومئذٍ أشد منه[(٤)].

زاد مسلم: قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - يعني: النبي ﷺ -[(٥)].

---

(١) المسند (١٦٧١٦)، ومسلم (١٦٦٠)، وأبو داود (٥١٥٩)، والترمذي (١٩٤٨)، والبخاري.

(٢) مسند عبد بن حميد (٢٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٥٦٨) بسند حسن.

(٣) البخاري (٤١٠١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٠٨)، وسنن الدارمي (٤٢).

(٤) المسند (١٨٠٦٩)، والبخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٩).

(٥) مسلم (١٧٧٨).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ رأىٰ خاتمًا من ذهب في يد رجل؛ فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلىٰ جمرة من نار فيجعلها في يده**»، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ[1].

وعن قيلة بنت مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها رأت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء، فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع؛ أرعدت من الفرق[2]. حديث حسن.

المتخشع: الخاشع.

قال أبو عبيدة: القرفصاء: أن يجلس الرجل كجلوس المحتبي، ويكون احتباؤه بيديه، ويضعهما علىٰ ساقيه كما يحتبي بالثوب.

عن زينب امرأة عبد الله قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تصدقن يا معشر النساء، ولو من حليكن**» قالت: فرجعت إلىٰ عبد الله، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة؛ فأته فاسأله؛ فإن كان ذلك يجزي عني، وإلا صرفتها إلىٰ غيرك. قالت: فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنت. قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة. قالت: فخرج علينا بلال؛ فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما علىٰ أزواجهما، وعلىٰ أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. قالت: فدخل بلال علىٰ رسول الله ﷺ فسأله، فقال

---

(١) مسلم (٢٠٩١)، وابن حبان (١٥)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٢/ ٤٢٤)، والمعجم الكبير للطبراني (١٢١٧٥).

(٢) سنن أبي داود (٤٨٤٧)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي (٣/ ٢٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٧٨) بسند حسن.

له رسول الله ﷺ: «من هما؟» فقال: امرأة من الأنصار، وزينب. فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبد الله بن مسعود. فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة»(١).





باب سلاح النبي ﷺ وعدته ودوابه

ملئت كتب السير والشمائل بذكر أشياء لم يثبت بالنقل الصحيح نسبتها إلى النبي ﷺ، وهذا الباب كان له جانب كبير من ذلك؛ حيث لم يصح فيه إلا النذر اليسير من ذلك، من السيوف، والرماح، والدروع، وغير ذلك، حتى قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه القيم «سير أعلام النبلاء»: وأكثر هذا الباب كما ترى بلا إسناد، نقله هكذا ابن فارس، وشيخنا الدِّمْياطيّ، فالله أعلم هل هو صحيح أم لا؟(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لم يذكر عنه ﷺ أنه كان يقتني لنفسه أكثر من واحد.

فكان له من السيوف؛ ذو الفقار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ: «تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر»(٣).

أما ما عدا ذلك، فلم يثبت ولم يصح، فعن مروان بن أبي سعيد المعلَّى الأنصاري قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيفًا قلعيًّا، وسيفًا يدعى بتارًا، وسيفًا يدعى الحيف. وكان عنده بعد ذلك رسوب والمخذوم أصابها

(١) المسند (١٥٦٥٢)، والبخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٣) واللفظ له.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧/ ٤٣٢).

(٣) الترمذي (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨) بسند حسن.

عند صنم طيء، وأخذ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أرماح، وثلاث قسي: قوس اسمها الروحاء، وقوس من شوحط تدعى البيضاء، وقوس صفراء تدعى الصفرى من نبع. وأصاب درعين يومئذٍ من سلاحهم: درع يقال لها: السعدية، ودرع تدعى فضة [(١)]. موضوع؛ فهو مرسل، ومن رواية الواقدي، وهو واهي الحديث، وشيخه أبو بكر بن أبي سبرة القرشي متهم بالوضع.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة، وقبعته من فضة، وكان يسمى ذا الفقار، وكانت له قوس تسمى السداد، وكانت له كنانة تُسمى الجمع، وكانت له درع موشحة بالنحاس تسمى ذات الفضول، وكانت له حربة تسمى النبعاء، وكان له مجن يسمى الذقن، وكان له ترس أبيض يسمى الموجز، وكان له فرس أدهم يسمى السكب، وكان له سرج يسمى الداج، وكانت له بغلة شهباء يقال لها: دلدل. وكانت له ناقة تسمى القصواء، وكان له حمار يسمى يعفور، وكان له بساط يسمى الكر، وكانت له عنزة تسمى النمر، وكانت له ركوة تسمى الصادر، وكانت له مرآة تسمى المدلة، وكان له مقراض يسمى الجامع، وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق [(٢)]. موضوع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وما يذكره البعض من أنه كان للنبي ﷺ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٣٨)، وتركة النبي لحماد بن إسحاق (٧٥)، موضوع.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١١٢٠٨)، وفيه عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، ضعيف، وإن كان وثقه ابن معين، إلا أن البخاري قال: يروي عن قوم ضعاف. قلت: وشيخه هنا علي بن عروة القرشي متروك الحديث؛ فيصدق عليه قول البخاري، والحديث أورده ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٠٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٩٣)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٧٥)، وحكموا عليه بالوضع، وهو كما قالوا.

سبعة أسياف؛ لا أصل له[(١)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتىٰ يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»[(٢)].

وأما الدرع، ففي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله وهو في قبة: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم**». فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله؛ فقد ألححت علىٰ ربك. وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[(٣)].

وعن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ يوم أحد أخذ درعين، كأنه ظاهر بينهما[(٤)].

وكان له مغفر ﷺ:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ: دخل مكة عام الفتح وعلىٰ رأسه مغفر، فلما نزعه؛ جاءه رجل، فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: «**اقتلوه**»[(٥)].

- ولبس البيضة، وهي الخوذة:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سُئل عن جرح النبي ﷺ يوم أحد؛ فقال: جرح

---

(١) قاعدة تتضمن ملابس النبي ﷺ وسلاحه (٩).

(٢) المسند (٥٠٩٤)، بسند حسن.

(٣) البخاري (٢٩١٥).

(٤) المسند (١٥٢٩٥)، وابن ماجه (٢٨٠٦)، والكبرىٰ للنسائي (٨٥٢٩) بسند صحيح.

(٥) البخاري (١٨٤١)، ومسلم (١٣٥٩).

وجه النبي ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة علىٰ رأسه، فكانت فاطمة - عليها السلام - تغسل الدم وعلي يمسك، فلما رأت أن الدم لا يزيد إلا كثرة؛ أخذت حصيرًا فأحرقته حتىٰ صار رمادًا، ثم ألزقته؛ فاستمسك الدم[(١)].

- وأما دوابه ﷺ، فقد ركب الخيل، والإبل، والبغلة، والحمار:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس يقال له: اللحيف[(٢)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمىٰ العضباء، لا تُسبق، فجاء أعرابي علىٰ قعود فسبقها؛ فشق ذلك علىٰ المسلمين حتىٰ عرفه؛ فقال: «**حق علىٰ الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**»[(٣)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت ناقة النبي ﷺ يقال لها: العضباء[(٤)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أقبل النبي ﷺ عام الفتح وهو مردف أسامة علىٰ القصواء[(٥)].

قلت: ذهب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ إلىٰ أن النبي ﷺ كانت له ناقة واحدة، هي القصواء وهي العضباء والجدعاء. وكذلك محمد بن إبراهيم التيمي فيما ذكره عنه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٣٧).

- وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء:

فعن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غزونا مع النبي ﷺ تبوك، وأهدىٰ ملك

---

(١) البخاري (٢٩١١)، ومسلم (١٧٩٣)، ومسند أبي يعلىٰ (٧٥٣٦).

(٢) البخاري (٢٨٥٥)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ٢٤).

(٣) البخاري (٦٥٠١)، وأبو داود (٤٨٠٢)، والنسائي في الصغرىٰ (٣٥٨٨).

(٤) البخاري (٢٨٧١).

(٥) البخاري (٤٤٠٠).

أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بردًا، وكتب له ببحرهم[(١)].

وأهدى له فروة بن نفاثة الجذامي بغلة بيضاء يوم حنين:

عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ علىٰ بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي... الحديث[(٢)].

قلت: وهذا يدل علىٰ أن هذه البغلة غير هذه، وليس كما قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أنها بغلة واحدة؛ لأن بغلة فروة بن نفاثة كانت في غزوة حنين وهي متقدمة علىٰ غزوة تبوك، والله أعلم.

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد قدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء، حتىٰ أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قدامه، وهذا خلفه[(٣)].

الشهباء: البيضاء.

- وكان له ﷺ حمار يقال له: عفير:

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت ردف رسول الله ﷺ علىٰ حمار يقال له: عفير. قال: فقال: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله علىٰ العباد، وما حق العباد علىٰ الله؟**».

قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله علىٰ العباد: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا. وحق العباد علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**». قال:

---

(١) البخاري (٣١٦١)، ومسلم (٢٢٨٣)، والمنتقىٰ لابن الجارود (١٠٨١)، ومشكل الآثار للطحاوي (٥٣٥٢).

(٢) المسند (١٧٧٨)، ومسلم (١٧٧٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٤٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٢٢)، وورد في المسند وغيره أن اسمه فروة بن نعامة، والصحيح ما ورد في مسلم وغيره أن اسمه فروة بن نفاثة.

(٣) مسلم (٢٤٢٦)، والترمذي (٢٧٧٥).

قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم؛ فيتكلوا»[١].

وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٦/ ٧٠): وهو غير الحمار الآخر الذي يقال له: يعفور. وزعم ابن عبدوس أنهما واحد، وقواه صاحب الهدىٰ، ورده الدمياطي فقال: عفير أهداه المقوقس، ويعفور أهداه فروة بن عمرو، وقيل بالعكس.

قلت: روىٰ ابن سعد في «الطبقات»، عن محمد بن إبراهيم التيمي، قال: كانت دلدل بغلة النبي ﷺ أول بغلة رُكبت في الإسلام، أهداها المقوقس وأهدىٰ معها حمارًا يقال له: عفير. وكانت قد بقيت حتىٰ كان زمان معاوية.

أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٤٠)، وحماد بن إسحاق في «تركة النبي» (٦٨)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ١٦١) من طريق محمد بن عمر، عن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه. ومع كونه مرسلًا، ففيه الواقدي، وهو كذاب.

وموسىٰ بن محمد بن إبراهيم التيمي؛ منكر الحديث، قاله أبو حاتم وأبو زرعة، والبخاري، والنسائي؛ فالحديث موضوع.

وروىٰ أيضًا ابن سعد في «الطبقات»، عن زامل بن عمرو قال: أهدىٰ فروة بن عمرو الجذامي إلىٰ رسول الله ﷺ بغلة يقال لها: فضة. فوهبها لأبي بكر الصديق، وحماره يعفور فنق منصرفه من حجة الوداع.

أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٤١)، وحماد بن إسحاق في «تركة النبي» (٧٠)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ١٦٢)، والطبري في «تاريخه» (٨٦٥) من طريق محمد بن عمر، عن ابن أبي سبرة، عن زامل بن عمرو، وهو مرسل أيضًا، وفيه محمد بن عمر الواقدي، وقد تقدم بيان حاله.

---

(١) البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٢).

وابن أبي سبرة، وهو أبو بكر عبد الله بن أبي سبرة، قال أحمد: يضع الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث. فالحديث موضوع.

ويحضرني الآن أن أنبه على الحديث المشهور، الذي دسه الكذابون والوضاعون، للقدح في الإسلام، والاستهزاء به، والنيل من النبي ﷺ. عن أبي منظور - وكانت له صحبة - قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر؛ أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، وأربعة أزواج خفاف، وعشرة أواقي ذهب، وحمار أسود. قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فقال له: «**ما اسمك؟**» قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حمارًا، كلهم لم يركبهم إلا نبي، ولم يبقَ من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك؛ أتوقعك أن تركبني، وكنت قبلك لرجل من اليهود وكنت أعثر به عمدًا، وكان يجيع بطني، ويضرب ظهري. فقال له النبي ﷺ: «قد سميتك يعفورًا يا يعفور». قال: لبيك. قال: «أتشتهي الإناث؟» قال: لا. وكان النبي عليه الصلاة والسلام يركبه في حاجته، فإذا نزل عنه؛ بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب، فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار؛ أومأ إليه أن أجب رسول ﷺ، قال: فلما قُبض النبي ﷺ؛ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان، فتردى فيها؛ فصارت قبره جزعًا منه على رسول الله ﷺ.

أورده ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٨)، وقال: هذا حديث لا أصل له، وإسناده ليس بشيء، ولا يجوز الاحتجاج بهذا الشيخ - محمد بن مزيد أبي جعفر -.

وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٩٤)، وقال: حديث موضوع، لعن الله واضعه؛ فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام والاستهزاء به. وتذكره الحفاظ لمحمد بن طاهر القيسراني المقدسي (٦٤٨)، وقال فيه: محمد بن مزيد لا يجوز الاحتجاج به. والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٧٦)، وحكم عليه بالوضع،

ووافق هؤلاء الذهبي في «الميزان»، وابن حجر في «لسان الميزان»، و«الإصابة»، و«الفتح». قلت: وهو كما قالوا، وأنىٰ لهؤلاء الكذابين الوضاعين أن يصلوا إلىٰ مأربهم ومقصدهم الدني؛ والله عَزَّوَجَلَّ قد قيد لهذا الدين من يذبون الكذب والتحريف عنه، ولا يخلو زمان من هؤلاء السادة الأشراف الذين يرفعون منار الدين، ويضحون بأوقاتهم وأعمارهم لإظهار الدين علىٰ أتم حال وأحسن وجه، كما خرج من مشكاته الأولىٰ نيرًا صحيحًا. فالحمد لله علىٰ منته وتوفيقه.





باب عبادته واجتهاده ﷺ

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. ولا شك أن أعلم الناس بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو النبي ﷺ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ يستفتيه، وهي تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم**» فقال: لست مثلنا يا رسول الله؛ قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال: «**والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي**»(١).

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ينهىٰ عن الغلو في العبادة، ويحب الدائم منها وإن كان قليلًا.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «**من هذه؟**» قالت: فلانة -. تذكر من صلاتها - قال: «**مه؛ عليكم بما تطيقون، فوالله، لا يمل الله**

---

(١) مسلم (١١١١)، وأبو داود (٢٣٨٩).

حتىٰ تملوا». وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه[(١)].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا؛ كأنهم تقَالُّوها؛ فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني**»[(٢)].

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح»: قوله: «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**». فيه إشارة إلىٰ رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلىٰ مزيد من العبادة بخلاف غيره، فأعلمهم أنه مع كونه لم يبالغ من التشديد في العبادة أخشىٰ لله وأتقىٰ من الذين يشددون، وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل، بخلاف المقتصد؛ فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه.

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام النبي ﷺ حتىٰ تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[(٣)].

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في هذا الحديث أخذ الإنسان علىٰ نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه؛ لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك، فضلًا عمن لم يأمن أنه استحق النار.

---

(١) البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٨)، والنسائي في الصغرىٰ (١٦٤٢).

(٢) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠٢)، والنسائي في الصغرىٰ (٣٢١٧)، والبيهقي في الكبرىٰ (٧/ ٧٦).

(٣) المسند (١٧٧٣٣)، والبخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨٢١).

قلت: لقد كانت حال النبي ﷺ أكمل الأحوال؛ فلا يمل من العبادة وإن أضرت ببدنه، أما غيره ﷺ، فيخشىٰ عليه الملل؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتىٰ تملوا**»[١].

ويؤيد ذلك ما قالته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سئلت: هل كان رسول الله ﷺ يختص من الأيام شيئًا؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق![٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلبًا للمغفرة والرحمة، فمن تحقق أنه غُفر له لا يحتاج إلىٰ ذلك، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة، وهو الشكر علىٰ المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا؛ فيتعين كثرة الشكر علىٰ ذلك.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، فاضطجعتُ في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل؛ استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلىٰ شن معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثلما صنع، ثم ذهبت، فقمت إلىٰ جنبه، فوضع يده اليمنىٰ علىٰ رأسي وأخذ بـأذني اليمنىٰ يفتلها، فصلىٰ ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتىٰ أتاه المؤذن؛ فقام

---

(١) البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٧).

(٢) البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٥).

فصلىٰ ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلىٰ الصبح[١].

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة. ثم مضىٰ، فقلت: يصلي بها في ركعة. فمضىٰ، فقلت: يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح؛ وإذا مر بسؤال سأل؛ وإذا مر بتعوذ تعوذ. ثم ركع، فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**». ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد، فقال: «**سبحان ربي الأعلىٰ**» فكان سجوده قريبًا من قيامه[٢].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فلم يزل قائمًا، حتىٰ هممت بأمر سوء. قلنا: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والوصال**». قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله. قال: «**إنكم لستم في ذلك مثلي؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني؛ فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون**»[٤].

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله، إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٥].



---

(١) البخاري (٤٥٧٠)، ومسلم (٧٦٣)، وأبو داود (١٣٦٧).

(٢) مسلم (٧٧٥)، والنسائي في الصغرىٰ (١١٣٣).

(٣) المسند (٣٦٣٨)، والبخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٦)، وابن ماجه (١٤١٨).

(٤) المسند (٧١٢٢)، والبخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٥).

(٥) البخاري (٦٣٠٧)، والترمذي (٣٢٥٩)، وابن ماجه (٣٨١٥).

باب بكائه وخوفه ﷺ من الله تعالى

البكاء من خشية الله عَزَّوَجَلَّ دليل علىٰ خوف العبد من ربه وحبه ورجائه وإقباله عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وحامل ذلك جميعًا الحب، فالمحبة تملأ صدر المؤمن خشية وخوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لذلك كان النبي ﷺ أخشىٰ الناس وأتقاهم؛ لامتلاء قلبه محبة لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

ولله در القائل:

بكىٰ الباكون للرحمن ليلًا   وباتوا دمعهم ما يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم   تحن متىٰ عليها يسجدونا

وأما بكاؤه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكانت عيناه تدمع، ويُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، وليس كما يفعل البعض من رفع الصوت والعويل والصريخ، فهذا منافٍ للسنة.

عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** رأيت رسول الله ﷺ وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[1].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**» فقلت: يا رسول الله، أأقرأ وعليك أنزل؟، قال: «**نعم**». فقرأت سورة النساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه

---

(١) المسند (١٥٨٧٧)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي في الصغرىٰ (١٢١٤)، والمستدرك للحاكم (١/ ٢٦٤) وصححه، وهو كما قال.

الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[(١)].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك؛ أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٢)].

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ: تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وقال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي، أمتي**». وبكى، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا جبريل، اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم -، فقال الله: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**»[(٣)].

قال الشاعر:

ما للمحب سوى إرادة حبه ... إن المحب بكل بر يضرع

وعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع**

---

(١) البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٢)، وأبو داود (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٤)، وابن ماجه (٤١٩٤).

(٢) مسلم (٤٨٩)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣).

(٣) مسلم (٢٠٥)، والسنن الكبرى للنسائي (١١٢٠٥)، والمعجم الأوسط للطبراني (٨٨٩٤).

جبهته ساجدًا لله، والله، لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله». فقال أبو ذر: والله، لوددت أني شجرة تعضد[1].

عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا، يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تلتها. قالت زينب بنة جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»[2].

هذا آخر ما تيسر جمعه وبيانه، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فما كان من توفيق فالمنة والفضل لله وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإن كانت الأخرىٰ فأرجو كل من وقف على خطأ أن يرشدنا إليه مأجورًا، والله عَزَّ وَجَلَّ يتولىٰ جزاءه؛ فالدين النصيحة.

والله أسأل أن يوفقنا والمسلمين جميعًا للعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ؛ إنه ولي ذلك ومولاه، وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) المسند (٢١٠٠٤)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والمستدرك للحاكم (٢/ ٥٠٩) بسند حسن.

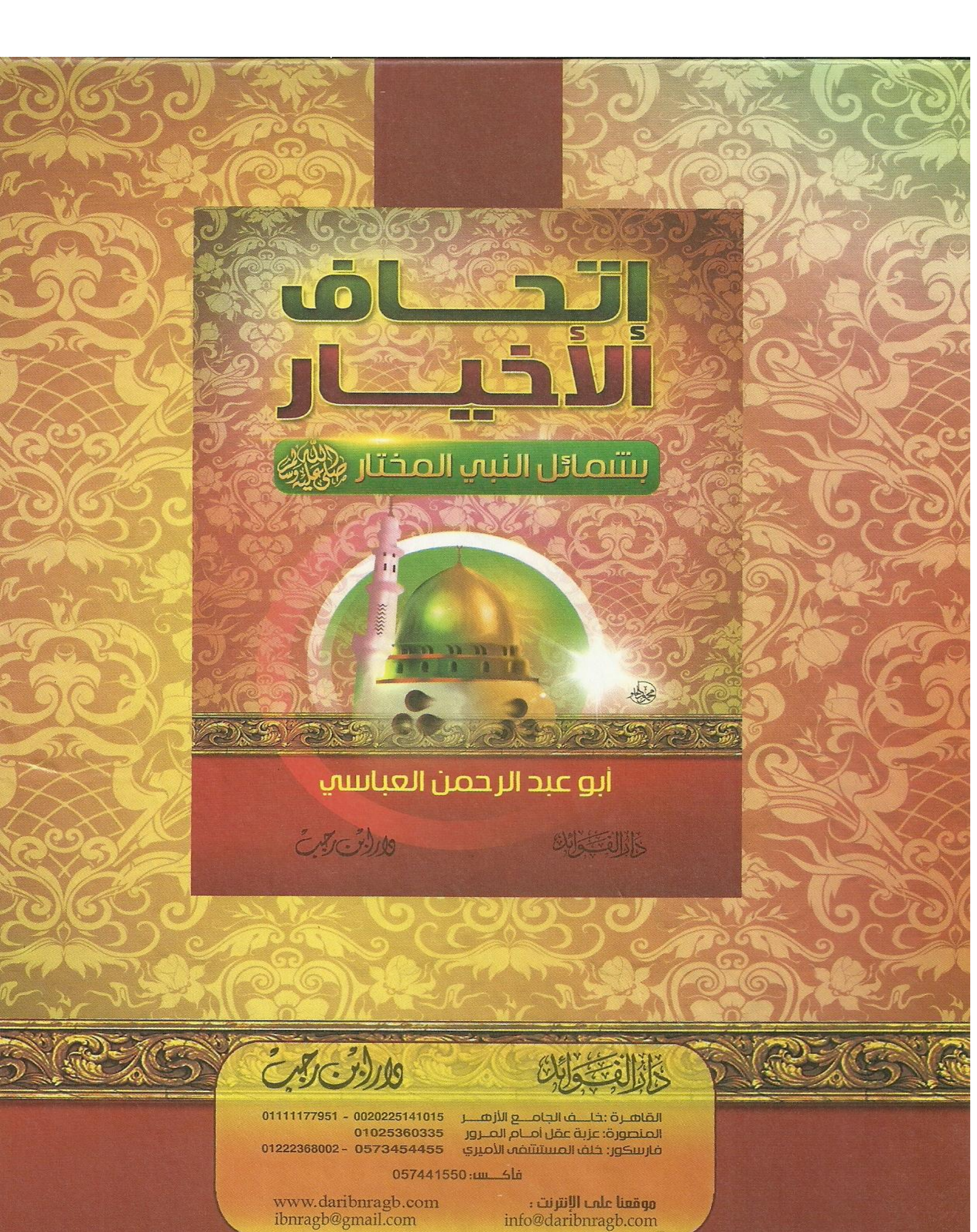
(٢) المسند (٢٦٨٦٧)، والبخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٣).

الفهرس

مقدمــة ٥
بابُ مكانةِ النبيِّ ﷺ عند السلف ٩
باب أسماء النَّبيِّ ﷺ وكنيته ٢٥
باب آيات النبي ﷺ ٢٨
باب صفة النبي ﷺ الخَلقية ٤٩
باب صفة مشيه وجلوسه ﷺ ٦٦
باب صفة نومه ﷺ ٦٨
باب كيفية كلامه ﷺ ٧٠
باب كيفية قراءته ﷺ ٧٢
باب صفة عُطاسه ﷺ ٧٤
باب صفة أكله وشربه ﷺ ٧٥
باب لباسه ﷺ ٨٣
فصل في عمامة النبي ﷺ ٨٩
فصل في نعل النبي ﷺ وخفه ٨٩
فصل في خاتمه ﷺ ٩٠
باب مزاحه ﷺ وضحكه ٩١
صفة النبي ﷺ الخُلقية ٩٤
باب حلمه وعفوه ورحمته ﷺ ٩٩
باب وفاته ﷺ ١١٢

باب حيائه ﷺ ١١٥
باب جوده ﷺ ١١٧
باب تواضع النبي ﷺ ١١٩
باب حسن عشرته ﷺ ١٢٤
باب معيشة النبي ﷺ ١٣٣
باب شجاعته وهيبته ﷺ ١٣٩
باب سلاح النبي ﷺ وُعَّدته ودوابه ١٤٤
باب عبادته واجتهاده ﷺ ١٥١
باب بكائه وخوفه ﷺ من الله تعالىٰ ١٥٥
الفهرس ١٥٩




إتحاف الأخيار
بشمائل النبي المختار صلى الله عليه وسلم
أبو عبد الرحمن العباسي
دار الفوائد
دار ابن رجب
دار الفوائد
دار ابن رجب
القاهرة :خلف الجامع الأزهر 0020225141015 - 01111177951
المنصورة: عزبة عقل أمام المرور 01025360335
فارسكور: خلف المستشفى الأميري 0573454455 - 01222368002
فاكس: 057441550
موقعنا على الإنترنت :
www.daribnragb.com
info@daribnragb.com
ibnragb@gmail.com